جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة ماستر

العلوم الإنسانية والإجتماعية
تاريخ
تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

رقم: 30

إعداد الطالب:
هجيرة كراع

يوم: 02/07/2019

بنو حمدون بالمسيلة وعلاقتهم بالخلافتين الفاطمية في المغرب والأموية في الأندلس(ق3و4هـ/ 9و10م)

لجنة المناقشة:

فتيحة شلوق	أ.مح أ	جامعة بسكرة	رئيسا
مسعود كربوع	أ.مح أ	جامعة بسكرة	مشرفا ومقررا
سالم كربوعة	أ.مح أ	جامعة بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية : 2018/ 2019م

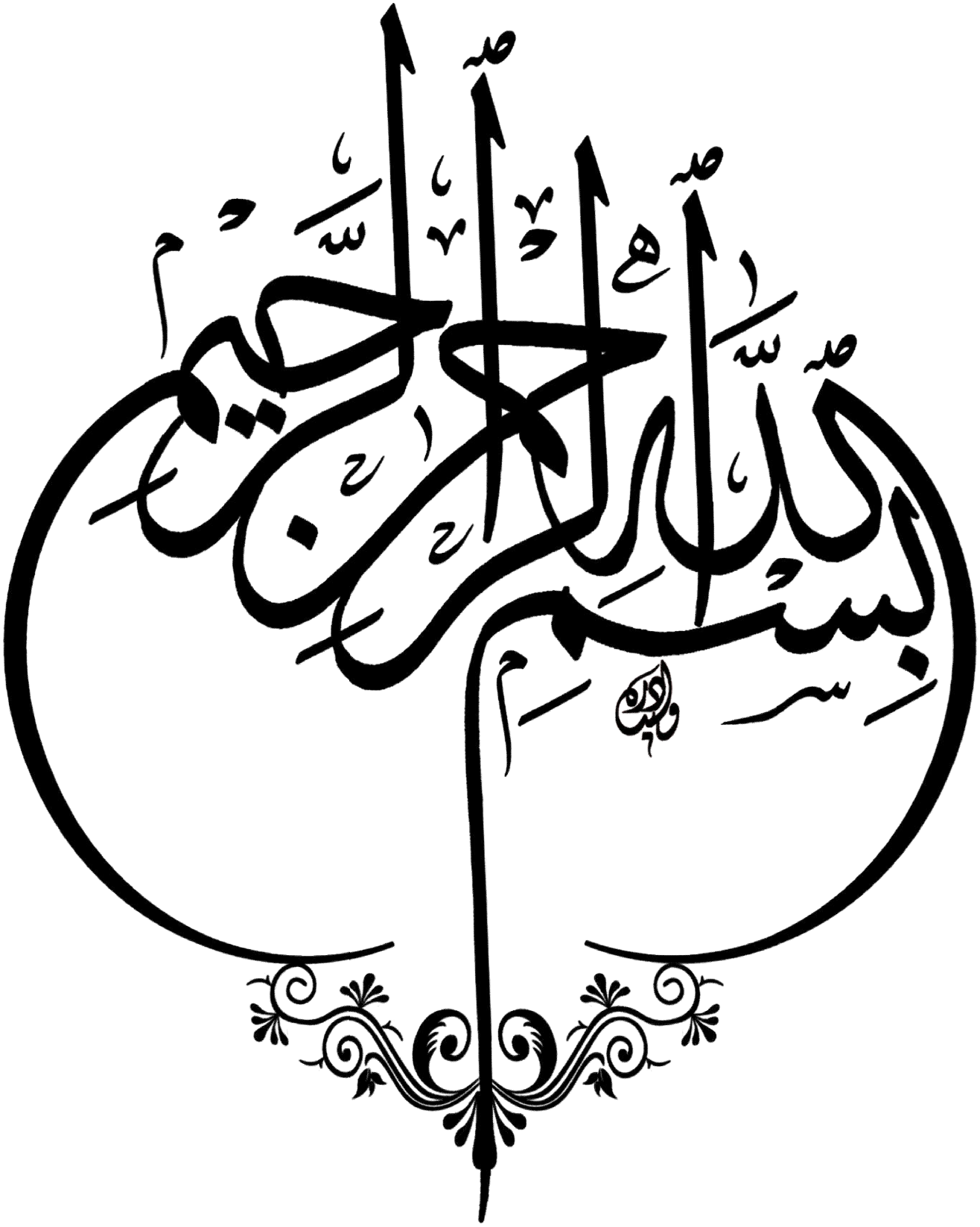
بسم الله الرحمن الرحيم

{إن التاريخ حافل بالعبر والعضات، وخير دليل يتعض به المرء هو كتب التاريخ، لما فيها من تجارب الأولين وجليل أعمال المتقدمين}

شكر وعرفان

الحمد لله العلي العظيم الذي منحني الصبر والقوة والطموح، ومنّ علي بنعمة الصحة والعافية وسخر لي يد العون والمساعدة لإتمام هذا العمل. كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان للأستاذ المشرف الدكتور"مسعود كربوع" الذي لم يبخل علي بتوجيهاته ونصائحه العلمية، وإصراره على اخرج هذا العمل في أحسن صورة، فله مني جزيل الشكر والامتنان على كل ما قدمه من جهد في سبيل إتمامه، ودعمه المستمر طيلة فترة إنجازه. كما أتقدم بالشكر إلى كل من ساعدني ووقف إلى جانبي من قريب أو من بعيد:

أساتذتي الكرام..... زملائي الطلبة.... إلى كل أعضاء هيئة التدريس بقسم التاريخ... إلى كل أعضاء أسرة العلوم الإنسانية ، جامعة محمد خيضر –بسكرة–

الإهـــداء

إلى صاحب القلب الكبير والصبر الطويل.....إلى والدي العزيز.

إلى من علمتني أن العلم تواضع والعبادة إيمان .....إلى أمي الغالية.

إلى إخوتي وأخواتي من كبيرهم إلى صغيرهم والذين شدوا من أزري طيلة فترة إنجازي للعمل.

إلى كافة رفيقات دربي ومشواري الدراسي منذ البداية إلى غاية سنة التخرج.

إلى كل من ساعدني في هذا العمل من قريب أو من بعيد.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل كخطوة في طريق النجاح والتألق.

قائمة المختصرات

الـــرمـــز	الـــدلالـــة
ص	الصفحة
(د. د)	دون دار نشر
(د. ب)	دون بلد
(د. س)	دون سنة
ج	الجزء
م	ميلادي
هـ	هجري
مج	مجلد
تح	تحقيق
ط	الطبع
صص	صفحتين متتاليتين
ص- ص	صفحات متباعدة
ع	العدد
ت	توفي
(...)	كلام محذوف

مقدمة

مـقـــدمــة

مرت منطقة المغرب الإسلامي في العصر الوسيط بالعديد من المحطات التاريخية، شهدت خلالها فترات من الصراعات وأخرى من الاستقرار، بحيث تعاقبت عليها العديد من الدول منذ استكمال الفتح الإسلامي لها، وهذا التباين في الحالة السياسية راجع إلى التنوع المذهبي الذي شهدته المنطقة بين شيعة وسنة على وجه الخصوص، وبدخول منطقة المغرب الأوسط فترة تاريخية جديدة كانت بمثابة عهد جيد اصطلح عليه المؤرخون الدولة الفاطمية أو الشيعة العبيدية، كان له اثر في زيادة أهمية هذه المنطقة وبروز مجموعة من المدن نذكر من بينها مدينة المسيلة، هذه المدينة التي قامت بدور ملموس في تاريخ بلاد الزاب خاصة عهد أسرة بني حمدون، هذه الأخيرة التي حاربت مع الفاطميين قبل وبعد إعلانهم للخلافة وقد عملت هذه الأسرة على تقوية علاقتها بالخلافة الفاطمية بغرض بسط سيطرتها على كافة بلاد المغرب، لكن سرعان ما تغيرت هذه العلاقة بينهم وبين الفاطميين من علاقة ولاء وتبعية إلى علاقة عداء، فقد أعلنت أسرة بنو حمدون خلعها لطاعة الفاطميين وإعلانها الولاء والتبعية لأندادها الأمويين في بلاد الأندلس، وهذا هو موضوع مذكرتي، والذي جاء بعنوان:

بنو حمدون بالمسيلة وعلاقتهم بالخلافتين الفاطمية في المغرب والأموية في الأندلس (ق3و4هـ/ 9و10م).

وللموضوع أهمية كبيرة تكمن في رصد مرحلة هامة من تاريخ بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع(3و4هـ) من خلال الكشف عن الدور الذي لعبته الدولة الفاطمية في دعم أسرة بني حمدون كي تبرز إلى الوجود، وتصبح معروفة لها إمارتها وصيتها بين قبائل وإمارات بلاد المغرب، أيضا تسليط الضوء على حاضرة أو مدينة المسيلة ومعرفة جوانب التطور المتعلقة بالحياة السياسية لها.

أما فيما يخص أسباب اختياري للموضوع تكمن في قلة الدراسات التاريخية المتعلقة بأسرة بني حمدون عصر الدولة الفاطمية، مقارنة بالدراسات الأخرى حول إمارات بلاد المغرب والتي لها قسط وافر من اهتمام الباحثين فأغلب الدراسات التي تمت بالمغرب الأوسط ركزت على الفاطميين ثم الزيريين بصفة مباشرة.

إبراز الدور الحضاري والسياسي الذي لعبته مدينة المسيلة في العصر الوسيط وخاصة عهد أسرة بني حمدون.

ولمعرفة المزيد حول هذا الموضوع نطرح الإشكالية التالية:

- **كيف كانت طبيعة العلاقات التي ربطت أسرة بني حمدون بالخلافتين الفاطمية في المغرب والأموية في الأندلس؟**

الأسئلة الفرعية.

-من هم بنو حمدون؟ وفيما تمثل دورهم في مرحلة الدعوة الفاطمية في المغرب؟

-فيما تمثل الدور السياسي والعسكري الذي لعبته هذه الأسرة لصالح الفاطميين في المنطقة؟

-ما هي أهم الأسباب التي دفعت بأسرة بني حمدون لتغيير ولائها نحو الخلافة الأموية بالأندلس؟

-ما طبيعة الدور الذي قامت بـه هذه الأسر عصري الحكم المستنصر والمنصور؟ وكيف كانت نهايتهم السياسية؟

وللإجابة على هذه الإشكالية اتبعت الخطة التالية:

والمكونة من أربع فصول رئيسة بداية بالمقدمة، حيث جاء الفصل الأول تحت عنوان أسرة بني حمدون ودورها في قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب، والمكون من ثلاث مباحث. الأول تناولت فيه أصل ونسب هذه الأسرة، أما ثانيا موقف هذه الأسرة من الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب وبالضبط فترة عبيد الله الشيعي، أما المبحث الثالث فقد جاء بعنوان سفارة علي ابن حمدون للفاطميين بالمشرق، أما الفصل الثاني والمعنون بالدور السياسي والعسكري لأسرة بني حمدون عصر الخلافة الفاطمية وهو الآخر مكون من ثلاث مباحث، الأول بعنوان تصدي بني حمدون لقبائل زناتة الموالية للخلافة الأموية وأهم المعارك التي قادها زعماء هذه الأسرة ضد قبيلة زناتة، أما المبحث الثاني فقد جاء تحت عنوان ولاية بني حمدون لأقاليم الزاب وبناء مدينة المسيلة وقد قمت بتقسيمه إلى عنصرين أساسيين الأول تناولت فيه أهم الأسباب التي دفعت بالفاطميين لبناء هذه المدينة ولماذا ولّي علي ابن حمدون بالذات، أما العنوان الثاني فهو مظاهر تطور المدينة عهد هذه الأسرة، أما المبحث الثالث للفصل الثاني فجاء بعنوان دور أسرة بني حمدون في القضاء

على ثورة أبي يزيد مخلد ابن كيداد، أما فيما يخص الفصل الثالث من مذكرتي فقد عنونته بالتوجه الجديد للعلاقات بين بني حمدون والفاطميين بعد تنقلهم إلى مصر، وهو أيضا مكون من ثلاث مباحث بداية بالفاطميين وسبب توليتهم لزيري ابن مناد على المنطقة، أما المبحث الثاني تناولت فيه الصراع الذي قام بين زيري ابن مناد و جعفر ابن حمدون أهم أسبابه، أما المبحث الثالث فقد تناولت فيه كيفية لجوء بني حمدون للأمويين بالأندلس. فيما يخص الفصل الرابع والأخير من هذه الدراسة فقد جاء بعنوان بني حمدون تحت لواء الخلافة الأموية بالأندلس ونهايتهم، والمكون من ثلاث مباحث، المبحث الأول تطرقت فيه لدور هذه الأسرة عصر الحكم المستنصر بداية لدورهم العسكري والمتمثل في مواجهة ثورة الحسن ابن جنون الإدريسي، ثم دورهم السياسي والمتمثل في ولايتهم على منطقة المغرب الأقصى. أما المبحث الثاني فقد تطرقت فيه إلى الدور الذي لعبته هذه الأسرة في عهد المنصور ابن أبي عامر، أما البحث الثالث والأخير فقد تناولت فيه النكبة التي تعرض لها أفراد هذه الأسرة وكيف كانت نهايتهم. وصولا إلى الخاتمة والتي تتكون من مجموعة استنتاجات تخص الموضوع.

المنهج المتبع:

من خلال دراستي لهذا الموضوع اعتمدت على منهجين رئيسيين هما: المنهج التاريخي التحليلي والمنهج الوصفي، بحيث اعتمدت على المنهج التاريخي في دراسة واستخراج النصوص التاريخية ومحاولة فهمها ومقارنتها من أجل الوصول إلى معلومات دقيقة وبتسلسل تاريخي أدق، وذلك عن طريق ذكر أهم المراحل التي مرت بها أسرة بني حمدون في المغرب والأندلس، كما اعتمدت على المنهج الوصفي في وصف طبيعة العلاقات التي ربطت أسرة بني حمدون بكل من الخلافتين وكذلك وصف مظاهر التطور والرقي لحاضرة المسيلة فترة حكم هذه الأسرة.

الدراسات السابقة:

هناك مجموعة من الدراسات التي تناولت موضوع مدينة المسيلة بصفة عامة في العصر الوسيط، كما نجد مجموعة من الدراسات التي تناولت التواجد الفاطمي في بلاد المغرب وحيثيات استقراره وإعلانه الخلافة في المنطقة، كما تحصلت على دراسات تخص الصراع الفاطمي الأموي في المنطقة والدور الذي لعبته القبائل المغربية في ذلك، ومن هنا نلاحظ أن هذه الدراسات قد

أشارت في مضامينها لبعض المعلومات المتعلقة بموضوع مذكرتي، ونذكر من بين هذه الدراسات ما يلي:

مذكرة المسيلة وجهاتها في العصر الوسيط(دراسة منو غرافية) للطالبة رحلي صليحة، وهي مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، وقد أفادتني هذه الدراسة في التوجه للمصادر التي تخدم موضوعي بالدرجة الأولى، كما أفادتني في معرفة بعض مظاهر التطور لحاضرة المسيلة في عهد بني حمدون.

مذكرة بلدية المسيلة المختلطة دراسة اجتماعية واقتصادية بين 1884-1945 للطالب بيرم كمال، وهي مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ وحضارات البحر المتوسط أفادتني هذه الدراسة في معرفة الدور الذي لعبته مدينة المسيلة وأهمية موقعها الاستراتيجي بالنسبة للسياسة الفاطمية المتبعة بالمنطقة، بهدف فرض سيطرتها على القبائل المناوئة لها.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة:

تمت معالجة الموضوع من خلال الاعتماد على مجموعة قيمة من المصادر والمراجع، بالإضافة إلى موسوعات ورسائل جامعية، من أهمها:

ابن خلدون(ت808هـ) في كتابه المعنون ب **(العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)** فقد أفرد ابن خلدون فصلا خبرا كاملا في الجزء الرابع عن تاريخ هذه الأسرة وإمارتها بمدينة المسيلة بشكل مختصر جدا منذ بداية ظهورها الى غاية نهايتها.

أما المصدر الثاني فهو **(مفاخر البربر)** لمؤلف مجهول كان حيا سنة**(712هـ)** وتتمثل أهمية هذا المصدر في إعطائي لبعض تفاصيل أسباب نزاع جعفر ابن حمدون مع زيري ابن مناد، وكذلك بعض المعلومات حول دور هذه الأسرة عصر الحكم المستنصر والمنصور ابن ابي عامر.

أيضا كتاب **(وفيات الأعيان وأبناء الزمان) لابن خلكان (ت681 هـ)**، والذي افرد تراجم لكل أفراد هذه الأسرة وأخص الذكر منهم علي ابن حمدون وشاعره ابن هاني الأندلسي الذي يعتبر فردًا من أفراد هذه الأسرة نظرًا لعلاقته الوطيدة معهم.

وأذكر أيضا كتاب **(افتتاح الدعوة)** للقاضي **أبي حنيفة النعمان(363هـ)**، والذي مثل أهمية كبيرة في معرفة أحوال الفاطميين منذ قدوم أبي عبد الله الشيعي من الحج نحو مصر إلى غاية إعلانهم الخلافة، إبراز الدور الكبير الذي لعبه عبيد الله الأندلسي الحمدوني في هذه المرحلة.

أما فيما يخص **أهم المراجع** فنذكر:

فرحات الدشراوي في كتابه **(الخلافة الفاطمية بالمغرب)** والذي أفادني بشكل كبير في معرفة الدور الذي لعبه عبيد الله ابن حمدون الأندلسي في المرحلة الأولى من الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب، كذلك بعض الإشارات حول الصراع بين جعفر ابن علي وزيري ابن مناد.

صالح بن قربة في كتابه **(تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي، دراسة تاريخية وأثرية)**، هذا المرجع ذو أهمية كبيرة فقد أفرد فصلا كاملا حول الدوافع التي جعلت الفاطميين يبنون مدينة المسيلة، وتوضيح أهمية موقعها الإستراتيجي الهام.

أيضا نذكر **محمد بن عميرة** في كتابه **(دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي)**

فقد تطرق صاحب هذا الكتاب وبشكل مفصل إلى أصول هذه القبيلة ومواجهاتها مع الفاطميين وأفادني أيضا في معرفة بعض التفاصيل عن ثورة أبي يزيد وما ترتب عنها.

كتاب **بسام العسلي** المعنون ب **(الحاجب المنصور326- 392هـ/938- 1002م)** والذي تناول التعريف بشخصية المنصور ابن أبي عامر، كما تناول سياساته الخارجية من ضمن هذه السياسات سياسته مع دويلات العدوة المغربية.

سعد زغلول عبد الحميد في كتابه **(تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام دولة المرابطين)**، أفادني هذا االمرجع في معرفة الدور الذّي قامت به أسرة بني حمدون، وبالضبط دور مدينة المسيلة للتصدي لثورة أبي يزيد، ومساهمتها في توفير المؤن والمساعدات للجيش الفاطمي.

الصعوبات:

من أهم الصعوبات التي واجهتني خلال بداية دراستي للموضوع نذكر:

قلة المادة العلمية وتناثرها بين المصادر والمراجع مما يستوجب الكثير من الوقت من أجل الاطلاع عليها ومحاولة استخراج هذه المعلومات وترتيبها بطريقة منظمة يسهل على القارئ فهمها، بالإضافة إلى صعوبة الحصول على بعض المراجع التي تخص الموضوع.

الفصل الأول: أسرة بني حمدون ودورها في قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب

المبحث الأول: أصلهم ونسبهم.

المبحث الثاني: موقف بني حمدون من الدعوة الفاطمية بالمغرب.

المبحث الثالث: سفارة علي ابن حمدون للفاطميين بالمشرق

المبحث الأول: أصلهم ونسبهم

مرت على تاريخ بلاد المغرب الإسلامي العديد من الأسر الحاكمة، ونذكر من بين هذه الأسر، **أسرة بني حمدون** التّي ترجع جذورها إلى **جذام**[1]، القبلة العربية اليمنية القحطانية [2]، والأندلس هي موطنهم الأول قبل الهجرة إلى المغرب، لهذا عرفوا بلقب ابن الأندلسي[3]، وجدهم الأكبر عبد الحميد[4]، ويذكر بعض المؤرخون مثل ابن حيان وابن عذاري أنّه الداخل إلى الأندلس من بلاد الشام، و" **نزل بألبيرة**[5]"[6]، بقرية من قرى يحصب تُعرف **بقسطلتانة**[7]، دون أن يُوضحا كيفية دخوله ولا السنة التي دخل فيها، وإنّ الروايات التاريخية تتوقف عند ذكر اسمه ونسبه، وبعض أسماء أبنائه دون أن نلاحظ بأنّ التفاصيل حول دوره في الأحداث الجارية بالأندلس، وقد تحدثت المصادر التاريخية حول أحد أحفاده المسمى حمدون، وأنّه كان أول من دخل إلى بلاد المغرب من هذه الأسرة وقبل أمر الدعوة الفاطمية[8].

(1)- ابن حيان: المقتبس من أخبار بلاد الأندلس، تح عبد الرحمن علي الحجي، المكتبة الأندلسية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د, .س)، ص33.

(2)- عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1968، ج1، ص232.

(3)- ابن عذارى المراكشي: البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ومراجعة: ج. س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط2، 1980، ج2، ص242.

(4)- نهلة شهاب أحمد، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2009، ص123.

(5)-**ألبيرة:** من كور الأندلس، جليلة القدر نزلها جند دمشق من العرب وكثير من موالي الإمام عبد الرحمن بن معاوية، وهذا الأخير هو الذّي أسسها؛ حيث يوجد حولها أنهار كثيرة، وكانت من قواعد الأندلس الجليلة والأمطار النبيلة بينها وبين غرناطة ستة أميل، وهي تقع بين القبلة والشرق من قرطبة. ينظر: عبد المنعم الحميري، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار،تعليق ليفي بروفنصال، دار الجيل،ط2، لبنان، 1988،ص28.

(6)-ابن حيان: ، مصدر سابق، ص33، ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق،ج2، ص242.

(7)- نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص123.

(8)- ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن والحواشي خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والتوزيع، 2000، ج4، ص42.

وقد وضع الباحثون سلسلة نسبه على النحو التالي: يقول ابن خلدون بأنّه ابن سماك ابن سعود ابن منصور الجذامي[1]، بينما يقول ابن حيان أنّه ابن سماك ابن سعيد ابن إبراهيم ابن أحمد ابن عبد الحميد الجذامي[2].

وقد ذكر القاضي النعمان في كتابه افتتاح الدعوة شخصية تنتمي إلى هذه الأسرة، والذّي كان لها الدور الكبير في بروز الدعوة الفاطمية إلى العيان، وهذه الشخصية هي أبي عبد اللّه محمد الأندلسي[3]. ويُوضح ابن خلدون اسمه الكامل على النحو التالي " **محمد ابن حمدون ابن سماك الأندلسي من بجاية**[4]"[5].

ويذكر بن خلكان أنّ لحمدون ابن يسمى أحمد، ويبدوا أنّه التحريف لاسم محمد الأندلسي؛ لأنّ أحمد ومحمد اسمان متقاربان[6]، وإلى جانب حمدون وابنه أبي عبد اللّه الأندلسي هناك شخصية مهمة تنتمي إلى أسرة بني حمدون، وهي المعروفة باسم علي ابن حمدون[7]،وقد سماه بذلك الدّاعي عبد اللّه الشيعي، وكان قد منحه هذا الاسم لأنّ اسمه الحقيقي كان ثعلبة، ولا ندري مدى التجسيد الذّي بلغه هذا الدّاعي الجديد بفكره[8].

هناك إشكالية تتعلق بالعلاقة التّي تربط بين علي ابن حمدون وأبي عبد اللّه محمد الأندلسي، فهل هما أخوان؟ وهل والدهما حمدون؟ أم أنّ الولد الحقيق لعلي هو محمد الأندلسي؟ وما دفعنا

(1)- ابن خلدون: مصدر سابق، ج4، ص42.

(2)- ابن حيان: مصدر سابق، ص33.

(3)- القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، تح فرحات الدشراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986، ص45.

(4)- ابن خلدون: مصدر سابق، ج4، ص42.

(5)- بجاية: مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، وكان أول من اختطها الناصر ابن علناس ابن حماد ابن زيري سنة 457هـ، بينها وبين جزيرة مزغناي أربعة أيام، كانت ميناءً قديما فقط، ثمّ اختطت المدينة وهي على لحف جبل شاهق في قبلتها جبال قاعدة ملك بن حماد، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، ج1، ص339

(6)- ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978، ج1، ص360.

(7)- ابن خلدون: مصدر سابق، ج4، ص107.

(8)- نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص123.

لطرح هذا الإشكال هو الغموض واللُبس الذّي يكشف شخصية أبي عبد اللّه الأندلسي في كتاب افتتاح الدعوة، ويُلاحظ أنّ أغلبية المُؤرخين يُصرحون بأن علي هو ابن حمدون[1].

وذكر ابن خلدون أنّ أبا عبد اللّه الأندلسي هو ابن حمدون الجذامي، وبالتالي هذا يُؤكد الرأي القائل بأنّ أبا عبد اللّه الأندلسي، وعلي ابن خلدون تربطهما رابطة الأخوة، وفي المقابل نجد أنّ ابن خلكان يُؤكد أنّ عليًا هو ابن أحمد ابن حمدون[2]. وإذا اعتبرنا أنّ أحمد هو نفسه محمد الأندلسي، فهذا يعني أنّ ابن خلكان يُعطينا رأيًا مُخالفًا لرأي بقية المُؤرخين، وعلى هذا النحو تعددت آراء الباحثين حول العلاقة التّي تربط علي ومحمد الأندلسي، فإذا أخذنا برأي ابن خلدون وابن حيان وغيرهم من المؤرخين، نجد أنّ علي ومحمد أخوان. أمّا إذا أخذنا برأي ابن خلكان فنجد أنّ علي هو ابن محمد، وبالتالي فإنّ حمدون هو جده. أمّا فيم يتعلق بتشكل أسرة بني حمدون فقد ذكر ابن حيان أنّ عليًا مرّ بقبيلة **كتامة**[3]أثناء قيامه بالرحلة إلى المشرق لأداء فريضة الحج[4]، وهناك تزوج امرأة تُدعى " **ميمونة بنت علاهم الجيملي**"، ومن هذا الزواج تشكلت أسرة بني حمدون التّي كان لها وقع في تاريخ المغرب الأوسط، وحكمها إلى أن أنجبت له ولدين سماهما جعفر ويحي[5].

(1)– الداعي إدريس: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، قسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تح محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص217، ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص107،ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ج2، ص242.

(2)– ابن خلكان: مصدر سابق، ج1، ص360.

(3)– **كتامة:** من قبائل البربر بالمغرب، وأشدهم بأسا وقوة، وأطولهم باعًا في المُلك نسابة البربر من ولد كتام بن برنس، ويقولون إنّهم من حمير، وأول ملوكهم افريقشن بن قيس من ملوك التبابعة، وكانوا مواطنين بأرياف قسنطينة إلى تخوم بجاية غربًا وبونة، انظر: ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص195.

(4)– نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص123.

(5)– ابن عذارى المراكشي: مصدر سابق، ج2، ص242.

أمّا فيما يخص انتقال حمدون وأسرته إلى بلاد المغرب أنّ حمدون نزل في بجاية التّي كانت في ذلك الوقت من المراسي العامرة بالأندلسيين المهاجرين إلى المغرب[1]. ينظر الملحق 1.

المبحث الثاني: موقف بني حمدون من الدعوة الفاطمية بالمغرب

كان لأسرة بني حمدون الدور الكبير في قيام دولة الفاطميين في بلاد المغرب الإسلامي خاصة في مرحلة الدعوة الفاطمية التّي كانت تهدف إلى نشر مذهبها وزرعه بين قبائل هذه المنطقة.

وقد أشار ابن عذارى دون أن يمدنا بأي تفاصيل عميقة أنّ حمدون الأب الأول لهذه الأسرة عندما انتقل إلى بجاية، صحِب أبا عبد اللّه الشيعي الداعي للفاطمية في المغرب ودخل في مذهبه[2].

ومن ثمّ يجيء أحد أبناء حمدون وهو عبد اللّه محمد الأندلسي الذّي كان له الدور في نشر المذهب الإسماعيلي ببلد سماتة بين قبائل البربر حتى مجيء **صاحب البذر**[3] أبا عبد اللّه الشيعي[4]. فقد كان يقوم بممارسة الدعوة إلى المذهب الشيعي والتبشير بقدوم صاحب البذر بين

(1)- مريم بوعامر: الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الأدنى، ودورها في الازدهار الحضاري ما بين القرن 7 و9هـ/ 13 و15م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، 2009/ 2010، ص07.

(2)- ابن عذارى المراكشي: مصدر سابق، ج2، ص242.

(3)- **صاحب البذر**: يذكر المؤرخون أن جعفر الصادق عندما أرسل إلى البلاد المغربية الداعيين طلب منهما أن يبسطا ظاهر علم الأئمة ويتجاوزوا افريقية إلى حدود البربر وينزل كل منهما في موضع وقال لهما إن ارض المغرب ارض بور اذهبا واحرثاها حتى يجئ صاحب البذر، إذ نجح في بذر بذور الدعوة الفاطمية في ارض المغرب وتعهدها بالري والعناية حتى أتت ثمارها فقامت الدولة الفاطمية، انظر: محمد سعيد بوحليقة، تاريخ ظهور الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي (145-268هـ/762-881م)، مجلة العلوم والدراسات، ع 1، جامعة بنغازي، 2013، ص47،

(4)- القاضي النعمان: مصدر السابق، ص42.

قبائل المنطقة التّي استقر فيها، ومن المحتمل أنّه كان من كبار الدُعاة الفاطميين، والذّي انتقلت إليه مهمة الدعوة بين قبائل كتامة بعد وفاة الحلواني[1] الذّي سبقه لها[2].

أما بالنسبة للقائه مع أبي عبد اللّه الشيعي، وكيف تمّ ذلك؟ وجب أولاّ التعريف بشخصية أبي عبد اللّه الشيعي وكيفية دخوله إلى المغرب، فالملاحظ أنّ أقوال المؤرخين تختلف في ضبط اسمه فنجد أنّ ابن خلدون في كتابه "العبر" يذكر أنّ اسمه الحسين ابن أحمد ابن زكريا[3]، بينما نرى القاضي النعمان في كتابه "افتتاح الدعوة" يُسميه بالحسين ابن أحمد ابن محمد ابن زكريا[4]، أي أنّهم يختلفون في الاسم الثالث ويتفقون في باقي السلسلة، كما اختلف الباحثون أيضا في الموطن الأول لأب عبد اللّه الشيعي، فذكر القاضي النعمان أنّ أصله من الكوفة[5]، بينما قال المقريزي أنّه من منطقة " رام هرمز"[6] بخرسان[7].

أما ابن خلكان فيذكر أنّ أبا عبد اللّه الشيعي من مدينة صنعاء باليمن[8]، ويُوافقه الرأي ابن عذارى ويُسمي أبا عبد اللّه الشيعي بالصنعاني[9].كما أطلق عليه لقب صاحب البذر إذ نجح في

(1)– **الحلواني:** اسمه عبد اللّه ابن احمد، أرسل إلى المغرب لنشر الدعوة الفاطمية سنة 145هـ، وأقام في منطقة الناظور وبنى مسجدًا وتشيع على يده الآلاف من كتامة، وقيل أنّ مات في نفس الموضع سنة 264هـ، ينظر: ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص 41.

(2)– فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب (296– 365هـ/ 909– 975م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ص85.

(3)– ابن خلدون: مصدر سابق، ج3، ص362.

(4)– القاضي النعمان: مصدر سابق، ص59.

(5)– نفسه.

(6)–**رام هرمز:** اسم مختصر من رامهرمز أردشير، وهي مدينة مشهور بنواحي خرسان، والعامة يسمونها رامز كسلًا منهم عن تتمة اللفظ بكمالها واختصارها، وهي من بين مدن خرسان، تجمع النخل والجوز والاترنج، وليس ذلك يجتمع بغيرها من مدن خرسان، ينظر: الحموي، مصدر سابق، ج3، ص17.

(7)–المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ط3، تح جمال الدين الشيال، (د. د)، القاهرة، 1996، ج1، ص52.

(8)– ابن خلكان: مصدر سابق، ج1، ص443.

(9)– ابن عذارى المراكشي: مصدر سابق، ج1، ص125.

بذر بذور الدعوة الفاطمية فعني أراضي المغرب، وقصدها بالري والعناية، حتى أتت ثمارها وقامت الدولة الفاطمية[1]. وكان قد حرث الأرض قبله الداعيان الحلواني **وأبو سفيان** [2] في فترة سبقته.

تتلمذ أبو عبد اللّه الشيعي على يد أستاذه **ابن حوشب**[3] في اليمن، فلزمه وشهد مجالسه، وأفاده من علمه، وساعد على توثيق الصلات بينه وبين أستاذه، والمُلاحظ أنّ ابن حوشب كان يعرف أبا عبد اللّه من قبل وشهد له بالنبوغ والفضل، فرفع من قدره وقرّبه إليه وصحِبه في جميع غزواته[4].

وبعد انتهاء الدورة التدريبية وآن الأوان ليخرج أبو عبد اللّه الشيعي من مدرسة **ابن حوشب** لإعداد الدعاة الإسماعيليين[5] باليمن، وكان العمل الذّي كُلف به هو الدعوة في بلاد المغرب، وطلب منه التوجه إلى بلد كتامة ليبدأ التخطيط لدخول المغرب والاتصال بقبائل كتامة واحترافهم

(1)- علي حسني الخربوطلي: أبو عبد اللّه الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة، (د. ب)، 1972، ص14.

(2)- **أبو سفيان:** هو الحسن ابن القاسم، أُرسل بلاد المغرب لنشر الدعوة الفاطمية سنة 145هـ، فسار إلى مرماجنة وأقام بها وابتنى مسجدًا، وتزوج هناك وأكمل حياته، وقد تشَيع على يده الآلاف من المغاربة والعديد من القبائل، ينظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص50.

(3)- **ابن حوشب:** صاحب الدعوة الشيعية باليمن، وقد اختلف الباحثون حول اسمه فابن الأثر وابن خلدون يذكران أنّ اسمه هو رستم ابن الحسين ابن حوشب ابن دادان ابن النجار، بينما يرى المقريزي أنّ ليس دادان بل زادان، ويذكر القاضي النعمان أنّه أبو القاسم الحسن ابن حوشب ابن زادان الكوفي من أصل الكوفة ومن أصل علم وتشيع، وقد استدعاه أحمد ابن عبد اللّه ابن القداح إليه وألقى إليه مذهبه فقبله، وسبره إلى اليمن وأمره بلزوم العبادة والزهد، ودعا بالناس إلى المهدي وأنّه خارج في هذا الزمان وكان ذلك سنة 266هـ، ينظر: ابن الأثير، مصدر سابق، ج8، ص30، ابن خلدون، مصدر سابق، ج3، ص361، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص40، القاضي النعمان، مصدر سابق، ص32، سيف الدين القصير، ابن حوشب والحركة الفاطمية باليمن، دار الينابيع للطباعة والنشر، دمشق، (د. س)، ص24.

(4)- علي حسني الخربوطلي: مرجع سابق، ص23.

(5)- **الإسماعيلية:** أطلق الفاطميون على أنفسهم هذا الاسم نسبة إلى زعيم لهم يُقال له محمد ابن إسماعيل لبن جعفر، ويزعمون أنّ دور الإمامة انتهى إليه؛ لأنّه سابع واحتجوا بأنّ السماوات سبع والأرضين سبع، والأيام سبع، فدلوا على أنّ دور الأئمة يتم بسبع، وعلى هذا فيما يتعلق بالمنصور فيقولون: العباس ثمّ ابنه عبد اللّه ثمّ ابنه علي ثمّ محمد ثمّ إبراهيم، ثمّ السفاح ثمّ المصور، ينظر: ابن الجوزي، تلبيس إبليس، تح زيد بن محمد بن هادي المدخلي، دار المنهاج، ط2، (د.ب)، 2015، ص146.

وتجنيدهم للدعوة الفاطمية، فخرج بذلك إلى مكة في موسم الحج في سنة **(280- 281هـ/ 893- 894م)**[1]، حينئذ اختلط بحُجاج كتامة وبدأ يجذبهم إليه ويقوي علاقتهم به[2].

ولمّا قرروا الرحلة إلى بلادهم طلبوا منه أن يُرافقهم، فسار معهم يكتم مذهبه وحقيقة شخصيته عندهم، ولمّا خرجوا من مصر نحو بلاد المغرب أرادوا حمل مئونته فأبى عليهم، وسايرهم على ما كان في لطفه، وكان ذلك أمر يُعظم عندهم جلالته وتزيد في أعينهم مكانته[3].

ولقد كان طريقهم من **طرابلس**[4] إلى **قسطيلية**[5] حتى ساروا إلى **سوجمار**[6] من أرض سماتة بالمغرب[7]، وكما يقول ابن عذارى أنّهم ملكوا طريق الصحراء متجنبين المرور بالقيروان[8].

وبعد أن قضت القافلة يوماً في الاستراحة بسوجمار استأنفت رحيلها في اتجاه بلاد كتامة[9]، وقد صاحب أب عبد اللّه الشيعي في هذه الرحلة كل من أبو القاسم أنور فجومي، وأبو عبد اللّه ابن حمدون الأندلسي[10]. ووصلت الجماعة إلى بلاد كتامة في **288هـ/901م**[11]، ولمّا وصل

(1)- القاضي النعمان: مصدر سابق، ص31، 32.

(2)- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مراجعة محمد بن يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ج6، ص450.

(3)- القاضي النعمان: مصدر سابق، ص40.

(4)- **طرابلس:** يُقال عنها أيضا أطرابلس؛ وهي كلمة رومانية تعني ثلاث مدن، وسماها اليونانيون طرابلطة وذلك بلغتهم، وتسمى أيضا مدينة إياس، تفصلها عن مدين نفوسة مسيرة ثلاثة أيام، وهي مدينة تُطل على البحر، ولها سور صخري جليل البنيان، ينظر: الحموي، مصدر سابق، ج1، ص25.

(5)- **قسطيلية:** هي مدينة كبيرة تقع في بلاد الجريد من أرض الزاب الكبيرة، وهي مدينة كبيرة عليها سور حصين، وبها ثمر قصب كثير يجلب إلى إفريقية، لكن ماءها غير طيب وسعرها غالي وأهلها شراة، ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض،دار صادر، ط2، بيروت، 1938، ص92.

(6)- **سوجمار:** اختلف المؤرخون في اسم المنطقة؛ فالقاضي النعمان قال بأنّ سوجمار هي من أرض سماتة، القاضي النعمان: مصدر سابق، ص30. أمّ ابن خلدون يذكرها بسوق جمار، وأنّها من أرض كتامة، كتاب "العبر"، ج2، ص51. أمّا المقريزي فسماها سوق جمادن المقريزي،اتعاظ ...، ج2، ص51.

(7)- القاضي النعمان: مصدر سابق، ص41.

(8)- ابن عذارى المراكشي: مصدر سابق، ج01، ص125.

(9)- فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص85.

(10)- القاضي النعمان: مصر سابق، ص40.

(11)- ابن خلدون: مصدر سابق، ج4، ص32.

بلد كتامة رغب كل في مقامه عنده، وآل أمرهم إلى أن خيروه فطلب منهم الاتجاه إلى موضع قال له فج الأخيار فحدث ذلك[1]. فسار أبو عبد اللّه الشيعي ومعه أبي عبد اللّه الأندلسي، **وأبو القاسم الورفجومي**[2] إلى أن وصلوا إلى فج الأخيار[3]. ومن هنا نُلاحظ مدى التزام أبو عبد اللّه ابن حمدون الأندلسي وأبو عبد اللّه الشيعي منذ البدايات الأولى للدعوة، وهذا وإن دلّ على شيء إنّما يدل على مدى قناعته بهذا الرجل وبفكره وولائه الشديد له.

وهنا نزل أبو عبد اللّه الشيعي بأبي عبد اللّه الأندلسي، وبات معه ليلة كاملة ودار بينهما حوار طويل، وانتهى هذا الحوار بأن علم الدّاعي أبو عبد اللّه الشيعي مضيفة دون سواه بحقيقة الغرض الذّي داء من أجله، والمهمة التّي كُلّف بها[4]. ولم يكن ذلك إلاّ بعد أن تأكد الدّاعي على مدى الفهم والمعرفة التّي يتحلى بها أبي عبد اللّه الأندلسي بعلوم الشريعة وعقائدها، وكان الأندلسي أوّل من أخذ العهد عليه، وناله شرف كشف الأمر[5]، وصار بعد ذلك من رجالات الدّاعي والمقربين الأساسيين إليه.

ولمّا جاء الصباح وقام أبي عبد اللّه ابن حمدون الأندلسي وذبح غنمًا كثيرًا، ومشى إلى الكتاميين، وقد أخذوا في الرحيل فأسم عليهم بعدم الذهاب بحجة أنّ الدّاعي الشيعي قد سهر طول اللّيل ونام عند الفجر، و" **كرهت إن مشي اليوم أنت ناله علة**"، فقالوا له: "**أما إذا كان هذا فنقيم ولو قدرنا أن نقيه بأنفسنا لفعلنا**"[6].

(1)- المقريزي: اتعاظ ...، ج1، ص56.

(2)- **أبو القاسم الورفجومي:** ذكره ابن خلدون أنّه كان ضمن الحجاج الكتاميين المرافقين لأبي عبد اللّه الشيعي، وأنّه من أحلاف قبائل كتامة، ولكن ابن خلدون لا يُعطينا تاريخ أو حتى مكان ميلاده بالضبط، ينظر: ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص41.

(3)- الداعي إدريس: مصدر سابق، ص88.

(4)- فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص84.

(5)- الداعي إدريس: مصدر سابق، ص86.

(6)- القاضي النعمان: مصدر سابق، صص42، 43.

وبعد ذلك شرع أبو عبد اللّه الأندلسي يستعد لمصاحبة الدّاعي إلى بلاد كتامة ممّا أثار استغراب الموجودين هناك منهم: أبو القاسم الورفجومي **وأبي المفتش**[1]، فسألوه عن سبب استعداده للنصر فأجابهم قائلاً: " **أظن أنّ الذّي قلت هذا أنّه صاحب البذر كما قلت، وقد رأيت أنّ أصحبه وأتعارف ما عنده**"[2]. وبعدما أعلن أبي عبد اللّه ابن حمدون الأندلسي الذهاب معه قرّر أبا القاسم الورفجومي ذلك أيضا وقال: " **أنا معكم**"[3]. أمّا أبا المفتش اعتذر عن الذهاب معهم بسبب كبر سنه قائلا: " **أني لا أستطيع السفر معكما، لكن متى توقفتما فيه على أمر كتبتما ألي عنه**"[4].

ويُحتمل أن يكون قد تخلل هذا الحوار نقاش حول المخططات التّي سيتبعها الدّاعي مستقبلا فضلا التزويد بمعلومات كافية من مضيفه عن طبيعة المكان الذّي سيتخذه قاعدة له، ولدراسة عقلية النّاس الذّين سينزل عندهم وعاداتهم وتقاليدهم، وهذا كله لأبي عبد اللّه الأندلسي دور عظيم فيه [5].

وعلى هذا صار أبو عبد اللّه ابن حمدون اليد اليمنى للدّاعي الشيعي ملازمًا له في رحلته، وحافظًا لسيرته، وحاملًا لعهد الدعوة، وصاحبه في رحلته إلى كتامة مع الحجاج الآخرين[6]. ومن المؤكد أنّ أبي عبد اللّه الأندلسي كان قد وقف بجانب الدّاعي الشيعي في كل ما قام به من اللّحظة التّي رحل فيها بلاد المغرب منذ لقائه بالحجاج، وفي رحلته إلى المغرب إلى أن وصل إلى

(1)- **أبا المفتش:** ذكره القاضي النعمان على أنّه ممن لحق أبا عبد اللّه الشيعي باسم أبو حيون المعروف بأبي المفتش، وقد أخذ منه بعض الشيء من علمه وهو صغير، وأخذ بعد ذلك عن رجاله، ينظر: القاضي النعمان، مصدر سابق، ص3.

(2)- القاضي النعمان: مصدر سابق، صص42، 43.

(3)- علي حسين الخربوطلي: مرجع سابق، ص37.

(4)- الداعي إدريس: مصدر سابق، ص87.

(5)- فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص88.

(6)- نور الدين مسعودي: دور عائلة بني حمدون في تثبيت أركان دولة الفاطميين بالمغرب (280-360هـ/893-970م)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج 6، ع15، سبتمبر 2018، ص 227.

بني سكتان والكتاميين وتأسيسه **لدار الهجرة**[1] من أجل نشر دعوته التّي أصبح ينشرها علانية وعلى الملأ، وأصبحت معروفة لدى الجميع[2].

إلى أن وصل أمره إلى حاكم إفريقية **إبراهيم ابن الأغلب**[3] فأرسل إليه رسالة يتوعد فيها ويحذره من مغبة مواجهة بني الأغلب، وأنّ القوة التّي يتباهى بها ليست سوى قوة وهمية غالبا ما تكون في بداية المشوار، فردّ عليه الدّاعي الشيعي دون خوف، يدل على جُرأته واستصغار شأن الأغالبة، وأخبروه بأنّه سيستمر في دعوته ومواجهته عسكريًا حتى نزول مملكته، ويُحقق مخططه في بناء الدولة الفاطمية[4].

وبعد ضياع صيت أبو عبد اللّه الشيعي بين كافة القبائل حاول بعض رؤساء هذه القبائل التخلص منه[5]، وكان ذلك بدافع الغيرة والخوف من فقدان المكانة العالية التّي كانوا يتمتعون بها، إلاّ أنّ الدّاعية الشيعي استطاع أن يتخلص من كل هذه المؤامرات ومحاولة إحباطها، وذلك بتحقيق نصر كاسح، حيث استطاع عقد تحالف مع قبيلة **غشمان**[6] المُناصرة له مع قبيلة **لهيصة**[7] التّي صارت من أتباعه بعد أن كانت من أعدائه.

---

(1)- **دار الهجرة:** شكّل عبد اللّه الشيعي دار الهجرة بعد أن انتفضت عليه بعض قبائل المغرب، واضطر إلى الابتعاد عن الأنظار، واتجه إلى بني سكتان، وفي تازروت بنى الشيعي قصرًا ليسكنه وقطع أنصاره دورًا حوله، وفتح للآلاف من الشيعة يُشيدون لهم بيوتا حتى تكامل شكل دار الهجرة، ينظر: القاضي النعمان، مصدر سابق، ص117.

(2)- فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص100.

(3)- **إبراهيم ابن الأغلب:** هو إبراهيم ابن الأغلب ابن سالم ابن عقال ابن خفاجة التميمي من مواليد القيروان، وكان من رجال الدين الأفذاذ في العلم والسياسة والدراية بشؤون الحرب، كما أنّه كان أديبًا فقيها حافظا لكتاب اللّه، وكان له دور كبير في فض النزاع بين العرب والبربر في مملكة إفريقية، ينظر: عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح إلى غاية نهاية الدولة الأغلبية، تح احمد بن ميلاد ومحمد إدريس، تقديم ومراجعة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1990، ص204.

(4)- بوبة مجاني: من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص135.

(5)- ابن خلدون: مصدر سابق، ج04، ص42.

(6)- **غشمان:** وتعرف أيضا غسمان، وهي إحدى قبائل كتامة الكبرى، أنظر: عبد الوهاب بن منصور، مرجع سابق، ص 319.

(7)- **لهيصة:** إحدى بطون كتامة الكبرى لا تُعرف مواطنهم بالتحديد، ومن أهم قادتها أبو حميد الدراس اللهيصي، ينظر: عبد الوهاب بن منصور، مرجع سابق، ص319، ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص43.

كل هذه الانتصارات كانت بحضور أبي عبد اللّه ابن حمدون الأندلسي وفي إحدى الأيام وقف هذا الأخير على قدميه مبتهجا بما رأى من الدّعي وأتباعه مثنيًا على ثباتهم وقال: " **واللّه لقد ثبت أمر اللّه فيكم، كما ثبتت هذه في هذا وأشار إلى أذنه ورأسه، واللّه لو قابلتم هذه الجبال وأشار إليها بهذه النبات لا نزلتموها**"[1].

كما أبدى إعجابه الشديد بالدعوة والداعي، وبما يتحلى به المؤمنون من قوة وعزيمة قادرة على هزيمة الأعداء وزعزعة الجبال[2]. ثمّ تابع الدّاعي الشيعي مسيرته فضمّ إليه قبائل كتامة المُناوئة له، وهو ما استدعى تنبيه الأغالبة للخطر القادم إليهم فشرعوا في تجهيز جيوشهم للقضاء عليه وعلى أتباعه[3]. لكن استطاع أن ينتصر عليه في سنة **291هـ/ 903م**، وبدأ أبو عبد اللّه الشيعي أعماله الحربية فاستولى على عدة مدن منها: **ميلة، سطيف، طبنة**[4]، **بلزمة**[5]، **قفصة**[6]. وكذلك العديد من المدن الأخرى[7]. وبعدها زحف أبو عبد اللّه الشيعي على كل أجزاء البلاد حتى استطاع أن يدخل إلى إفريقية في يوم السبت من رجب 296هـ/ 909م[8].

ومن هنا يمكن القول أنّ لبني حمدون أبي عبد اللّه الأندلسي خصوصًا دور كبير في خدمة الشيعة الفاطميين، والذّي كان له دور كبير في مرحلة قيام الدولة، وذلك بتميزه بسوجمار لكونه عالمًا بهذا الموضع، كما أنّه صاحب معرفة بهذا المذهب، وكان بصحبة أبي المفتش أحد تلاميذ

(1)- القاضي النعمان: مصدر سابق، ص102.

(2)- فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص106.

(3)- المقريزي: اتعاظ ...، ج1، ص58.

(4)- **طبنة:** هي مدينة فيطرف لإفريقية مما يلي المغرب على ضفة الزاب، فتحها موسى ابن نصير، سورها مبني بالطوب وبها قصور وأرباض، وليس بين القيروان وسجلماسة مدينة أكبر منها، ينظر: الحموي، مصدر سابق، ج4، ص21.

(5)- **بلزمة:** مدينة تقع على الجنوب من سطيف على بعد مرحلتين من قسنطينة، كما أنّها تقع على بساط من الأرض كثير المزارع، كما أنّها من أكبر المدن غنية بالأنهار والثمار، ينظر: ابن حوقل، مصدر سابق، ص91.

(6)- **قفصة:** وهي بلدة صغيرة في طرف إفريقية من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير بالجريد، بينها وبين القيروان ثلاثة أيام مختطة في أرض سيخة لا تنبت إلاّ الشيح، وهي أكثر بلاد إفريقية فستقا، ومنها يُحمل إلى نواحي إفريقية والأندلس وسلجماسة، ينظر: الحموي، مصدر سابق، ج4، ص38.

(7)- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، (د.س)، ص50.

(8)- ابن خلدون: مصدر سابق، ج4، ص46.

الحلواني[1]، وواحد من كبار الدعاة الإسماعيليين بكونه أحد التلاميذ الذّين استقبلوا الدّاعي أبو عبد اللّه عند نزوله بسوجمار، وهو في طريقه في بلاد كتامة، ثمّ خصّ باستضافته في بيته وسهره طول اللّيل معه، وكان أوّل من كشف له الدّاعي أمر دعوته وتوليه لحمل العهد، ووعده بالخدمة في صفوفه والسفر معه، ووعده بتنفيذ كل مساعيه وخططه السياسية في إقامة دولة فاطمية شيعية في هذه المنطقة[2].

هذا فيما يخص شخصية أبي عبد اللّه ابن حمدون الأندلسي، أما ما يتعلق بالشخصية الحمدونية الثانية المُتمثلة في على ابن حمدون الأندلسي، فالمصادر التاريخية لم تُعطينا أحداثًا كثيرة حول الأعمال التّي قام بها أثناء مرحلة الدعوة بين قبائل كتامة، عدا الدور الذّي قام به في الوفد الذّي بَعث به الدّاعي أبو عبد اللّه الشيعي إلى المشرق وبالضبط إلى **عبيد اللّه المهدي**[3] ليُخبره وليطلعه على آخر الأخبار التّي آلت إليها الدعوة في بلاد المغرب ويدعوه إلى المجيء إلى المغرب، وتوليته لهذا الوفد يدل على المكانة التّي يتمتع بها عن الدّاعي الشيعي، وأنّ هذا الدّاعية خصّ لمرافقه أبي عبيد اللّه المهدي، وبعد أن وجد الأوضاع غير مستقرة في إفريقية[4].

وحسب رواية ابن خلدون أنّ عبيد اللّه المهدي وابنه أبا القاسم لمّا وصل إلى طرابلس بعث علي ابن حمدون إلى عبد اللّه الشيعي فقام بمهمته بأحسن وجه[5]، كما كان معهم أيام اعتقالهم

(1)- القاضي النعمان: مصدر سابق، ص44.

(2)- الداعي إدريس: مصدر سابق، ص-ص84- 90.

(3)- **عبيد الله المهدي**: اسمه عبد اللّه أبو محمد، أول من قام من الخلفاء العبيديين من الباطنية الذّين أعلنوا بالرفض وأبطنوا نذهب الإسماعيلية، وبثوا الدعاة يستغوون الجبلية الجهلة، وهو مؤسس لدول العبدية، وأول حاكم فيها وهو عراقي الأصل وُلد في الكوفة سنة 260 هـ، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، تح شعيب ارناؤوط وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983، ج15، ص141.

(4)- نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص124.

(5)- ابن خلدون: مصدر سابق، ج4، ص107.

بسجلماسة[1]، وذلك من أجل يجلب لهم أخبار الطريق حتى يذهبا إلى الدّاعية المتواجد في منطقة **ايكجان**[2] في تلك الفترة[3].

لينظم مرة أخرى لعبيد اللّه المهدي وابنه أبا القاسم، وابن خلدون لا يذكر الموضع الذّي تمّ فيه هذا اللّقاء، وعبيد اللّه المهدي قد سار إلى طرابلس و قسطيلية.

ومن هنا كان ينوي المسير إلى إيكجان للقاء الدّاعي الشيعي فمن المحتمل أنّ علي بن حمدون خرج من عند الدّاعي ليتجه مباشرة إلى قسطيلية، وربما كان اللّقاء هناك، ومن هنا يُمكن القول أنّ المهمة التّي كلف بها علي بن حمدون هي مهمة استطلاعية ليمهد الطريق للمهدي، وليكشف مدى المخاطر المحدقة به من طرف الأغالبة، وبتسارع الأحداث وصلت إلى عبيد اللّه المهدي أخبار مفادها أنّ الأغالبة سمعوا به وشرعوا في البحث عنه، وهذه الأخبار من المحتمل أن تكون قد وصلت إليه عن طريق علي ابن حمدون[4]، ومن هنا قرر المهدي عدم التوجه إلى إيكجان والبقاء في سجلماسة حتى تهدأ الأوضاع هناك[5].

وممّا سبق نجد أنّ علي ابن حمدون المعروف بابن الأندلسي والمنظم إلى عبيد اللّه المهدي قبل وبعد قدومه إلى بلاد المغرب قد أخذ نصيبه من مخاطر المرحلة الأولى، وساهم مساهمة فعالة في تأسيس أركان الدولة الفاطمية[6]، وقد كان الأقرب إلى الدّاعي وهو يُخطط لتهيئة الأجواء

(1)- **سجلماسة:** تقع في صحراء المغرب بينها وبين البحر 15 مرحلة، وهي على نهر يُقال له زيز، وتُعد من أعظم مدن المغرب على طريق الصحراء، لم تُعرف بالعمران الكثير، بينها وبين غانة مسيرة شهرين، تأسست سنة 140هـ على يد مدرار ابن عبد اللّه، ينظر: الحميري، مصدر سابق، ص305.

(2)- **ايكجان:** جبل بين سطيف وقسنطينة في قبائل كتامة، و به حصن حصين معقل منيع كان قبل هذا من أعمال عمارة كتامة بهذه الأرض، وإلى أن تجاوزت أرض القل وبونة. ينظر: الحميري، مصدر سابق، ص71.

(3)- ابن خلدون: مصدر سابق، ج4، ص107.

(4)- فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص175.

(5)- القاضي النعمان: مصدر سابق، ص176.

(6)- الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، تح: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ج1، ص47.

في المغرب، كما كلف بمصاحبة المهدي وابنه القاسم في هجرتهما إلى المغرب[1]، ومن أجل هذا الدور الذّي قام به علي ابن حمدون نجد أنّ حكام الدولة الفاطمية قد عملوا على تقريبه ومنحه أعلى المناصب في الدولة؛ حيث إنّ عبيد اللّه المهدي قد عدّه في مقام ابنه وولي عهده أبي القاسم محمد، وأمر بتربية أبنائه " جعفر ويحي" في البلاط الفاطمي[2].

المبحث الثالث: سفارة علي ابن حمدون للفاطميين بالمشرق

مثلت المدة التّي استقر فيها علي ابن حمدون في بلاد كتامة أولى المؤشرات على إطلاعه عن كثب على حيثيات الدعوة الفاطمية، إذ كان أحد دعاته "أبو عبد اللّه" الذّي أشاعه في هذه البلاد، ولا ندري أهي القناعة بالدعوة الفاطمية أم الإعجاب بشخصية الدّاعي التّي كانت وراء العلاقة الحميمية التّي جمعت بين أبي عبد اللّه الشيعي وعلي ابن حمدون الأندلسي، أيًا يكن الأمر فقد أفرزت هذه العلاقة داعية جديد وهب نفسه لخدمة الفاطميين وأهدافهم في بلاد المغرب[3].

وكما تقول بعض المصادر مثل ابن حيان أنّه من منحه اسم علي ابن حمدون بدلاً من ثعلبة[4]، وهذا ما يُؤكده ابن خلدون كذلك[5]، ولا ندري مدى التجسيد الذّي بلغه هذا الدّاعي الجديد بفكره[6].

فلما تولى الخليفة الفاطمي عبيد اللّه المهدي حُكم إفريقية قرب إليه علي ابن حمدون وزادت رتبته عنده، فرشحه ليكون سفيرًا له في الخارج والمسؤول عن حمل رسائله ونشر مبادئه إلى البقاع

(1)- ابن خلدون: مصدر سابق، ج4، ص108.
(2)- نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص124.
(3)- نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص123.
(4)- ابن حيان: مصدر سابق، ص34.
(5)- ابن خلدون: مصدر سابق، ج4، ص123.
(6)- نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص123.

الشرقية من العالم الإسلامي[1]؛ وذلك بسبب ما كان يتميز به من فطنة وذكاء، وما أظهره من خدمة وحسن أداء أثناء قيامه ببعض المراسلات بين أبو عبد اللّه الشيعي وعبيد اللّه المهدي[2].

وقد استطاع أن ينجح في مهمته كمبعوث رسمي لهذه الدولة الناشئة بالخارج، ويحكم لها شأنها في المشرق وينال رضا الخليفة الفاطمي عبيد اللّه المهدي، ويزداد عنده رفعة[3].

ومن خلال هذه السفارة التّي قام بها علي ابن حمدون بالمشرق نكتشف أنّه كان يتميز بذكاء لافت، وهذا ما يُعزز رواية ابن خلدون وأنّ عبيد اللّه المهدي قد اختاره سفيرًا دون غيره، وتمّ ترشيحه لهذه المهمة وهو ما يدل على تميزه بفطنة وتمتعه بمواهب سياسية أهلته لهذه الرتبة[4]، والتّي نجح فيها نجاًحا باهرًا، وهذا الذّي النجاح دفع بعبيد اللّه المهدي لترشيحه ليكون في صحبة ولي عهده أبي القاسم، وكل هذا كان بعد استدعائه من مهمته بالخارج، فازداد بذلك حظوة لديه وازدادت منزلته وصار من حاشيته والمقربين له[5].

إضافة إلى أنّه صحب في خرجته الكبرى لردع ثورات البربر، وعند خروجه في هذه الحملة ترك زوجته وولديه جعفر ويحي في كفالة الخليفة الفاطمي عبيد اللّه المهدي، وقد نشأ ببلاط أبي القاسم وكان المسؤول المباشر عن تربيتهما ورعايتهما من طرف الوزير **جوذر**[6]، والذّي ذكر أنّه أيضا تكفل بخدمة أسرة ولي العهد أبي القاسم أثناء غيابه[7].

---

(1)- ابن عذارى المراكشي: مصدر سابق، ج2، ص243.

(2)- ابن حيان: مصدر سابق، ص34.

(3)- المصدر نفسه: ص35.

(4)- ابن خلدون: مصدر سابق، ج4، صص50، 51.

(5)- ابن حيان: مصدر سابق، ص34.

(6)- **جوذر**: لقد تولى مناصب إدارية عدة، ودخل في خدمة الفاطميين ككاتب سنة 350هـ، ولا يُعرف شيئًا عن نسبه لكن ما يدور الشك حوله أنّه صقلي النسب، كما كان أقرب الأشخاص إلى الخليفة المعز لدين اللّه الفاطمي، وقد كان يحتفظ بأمر الوثائق المتبادلة بين جوذر والأئمة. ويتولى أمر كل المراسلات بما تحتويه من أسرار هامة، ينظر، خير الدين الزركلي، الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، ط15، لبنان، 2002، ج2، ص144.

(7)- أبي علي منصور العزيزي، أسرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطيمين، تح وتقديم محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، مصر، (د. س)، ص132.

وأيضا رعاية الخليفة الفاطمي لأسرة علي ابن حمدون تدل على أنّ ولدي علي ابن حمدون " جعفر ويحي" قد أتيحت لهما فرصة أن يتربيا تربية الملوك ويتحليا بآدابهم، وينشآ ويترعرعا في نفس الجو الذي ترعرع فيه أبناء كبار رجال الدولة[1].

كما أنّ إشراف **جوذر** الشخصية المقربة جدًا من الخلفاء الفاطميين – والذّي كان كاتب عندهم في بلاد المغرب –على تربية أبناء علي ابن حمدون جعلته يرتبط بعلاقة متميزة بأفراد أسرة بني حمدون الأندلسية، وبصفة أخص بعلي وولده جعفر، وقد ظهر أثر هذه العلاقة خاصة في عهد **المعز الفاطمي**[2]،حيث إنّه وصل إلى مسمع جوذر إشاعات حوا ما كان يُظهره جعفر عامل المسيلة من الولاء والطاعة له ودخوله عليه بالمهدية[3]. ممّا دفعه إلى مراسلة الخليفة الفاطمي المعز ورده على هذه الإشاعات وتبرئة نفسه من إشاعة النّاس حوله التّي تقول بأنّه يُنافس الخليفة الفاطمي في الحكم، وقام بتقديم تفسير يُوضح من خلاله طبيعة العلاقة التّي تربطه بجعفر ابن علي، وبيّن له بأنّها علاقة عاطفية خالية من كلّ مطمع سياسي، وأنّها تكونت من تكلفه بتربية ورعاية جعفر ابن علي، وذلك بناءً على طلب من الخليفة الفاطمي **قائم بأمر اللّه**[4]، نيابة عن أبيه الذّي انشغل بخدمة الفاطميين، والدّفاع عن دولتهم، ثمّ إنّ الخليفة الفاطمي المعز نفسه كان يُبدي عطفه على جعفر[5]، ويتغاضى عن أخطائه بسبب العلاقة الأبوية التّي كانت تربطه

(1)– ابن حيان: مصدر سابق، ص37.

(2)– **المعز الفاطمي:** اسمه الكامل المعز لدين اللّه لقبه " معد" كنيته " أبو تميم"، والده المنصور أمه أم وادن ولد سنة 319هـ في المهدية، تسلم الخلافة سنة 342هـ؛ أي عندما كان عمره 23 سنة، مات ودفن في القاهرة سنة 365هـ، فيكون قد عمّر 46 سنة قضى أربعة وعشرون سنة منها في مقعد الخلافة، ورحل من المغرب إلى مصر سنة 361هـ، وذلك بعد مضي أربعة سنوات على احتلالها، ينظر، عارف تامر،المعز لدين الله الفاطمي واضع اسس الوحدة العربية الكبرى، دار الافاق الجديدة، بيروت، 1972، ص 76.

(3)– ابن حيان: مصدر سابق، ص34.

(4)– **قائم بأمر اللّه:** هو أبو القاسم محمد بن المهدي ابن عبد اللّه، وُلد في ملمية سنة 278هـ، بويع له بالخلافة في سنة 322هـ/ 954م، وكان مهيبا شجاعا، قليل الخير، فاسد العقيدة خرج عليه العديد من البربر ودارت بينهم ملاحم كبرى وكان شيطانا مريدًا يتزندق، كما أنّه كان يظهر بسبب الأنبياء وكما أنّه كان يُراسل قرامطة البحرين، ويأمرهم بإحراق المساجد والمصاحف، ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج15، ص152.

(5)– ابن خلدون: مصدر سابق، ج4، ص108.

بجوذر. وهكذا ترك علي ابن حمدون عند خروجه أولاده في رعاية الخليفة الفاطمي، وتحت رعاية الكاتب جوذر لكي يُرافق ولي العهد أبا القاسم في حملته العسكرية الكبرى إلى بلاد المغرب، وعند عودتهم من هذه الحملة أمر أبا القاسم علي ابن حمدون ببناء مدينة جديدة[1] سماها ب**المحمدية**، والتّي ستصبح فيما بعد حاضرة قوية يتعاقب عليها قادة بني حمدون، وللإشارة فـ'نّ المصادر التاريخية لم تُفصح عن فحوى السفارة الذّي كلف بها علي ابن حمدون نحو الشرق، وكلّ ما صرّحت به المصادر التاريخية من حيث أنّه نجح فيها نجاحا باهرًا ممّا زاد من إعجاب الخليفة الفاطمي بابن حمدون وقربه مع أبنائه جعفر ويحي من البلاط أكثر[2].

(1)- ابن خلدون: مصدر سابق: ص109.

(2)- نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص124.

الفصل الثاني: الدور السياسي والعسكري لأسرة بني حمدون-عصر الخلافة الفاطمية

المبحث الأول: تصدي بني حمدون لقبائل زناتة الموالية للخلافة الأموية

المبحث الثاني: ولاية بني حمدون لأقاليم الزاب وبناء مدينة المسيلة

أ- الدوافع الفاطمية في بناء المدينة

ب- تطور المدينة عصر بني حمدون

المبحث الثالث: دورهم في القضاء على ثورة أبي زيد مخلد ابن كيداد

المبحث الأول: تصدي بني حمدون لقبائل زناتة الموالية للخلافة الأموية

لقد واجهت الدولة الفاطمية معارضة وفتن وثورات، منذ أن أعلن الدّاعي عبيد اللّه عن قيامها في **رقادة**[1] في أول رجب **296هـ/ 909م**، فهذه السلطة الجديدة التّي قامت على نشاط دعوي طويل ومُنظم، ومذهب مُخالف للمذاهب الموجودة بالمغرب من **مالكية**[2] و**إباضية**[3] و**صفرية**[4] وغيرها[5]، بالإضافة إلى رد فعل القبائل المغربية تجاه التوسع الفاطمي، فقد لاقت هذه الأخيرة رد فعل عنيف من طرف الكثير من القبائل المغربية، فقد حطّت الدولة الفاطمية أقدامها في هذه المنطقة بعد جهاد استمر لعدة سنوات، وتُوّج بإعلان قيام الخلافة الفاطمية في إفريقية، حتى

(1)– **رقادة:** تقع جغرافيا في ظاهر القيروان حيث تبعُد عنها مسافة أربعة أميال؛ أي أبعد بقليل عن موقع العباسية، وقد حدّد البكري مسافة رقادة بحوالي أربعة وعشرين ألفا وأربعين ذراعًا. أما عن سبب تسميتها فيقول أنّ أحد بني الأغلب أرق وشرِد وغلبه النوم أيامًا، فعالجه أحد الأطباء وأمره بالخروج والمشي، فلمّا وصل إلى موقع رقادة نام، ومن ثمّ جاء اسم هذا الموقع الذّي نَام فيه الأمير، ينظر: عبد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.س)، ص28، عبد الجبار الناجي، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان، 2001.

(2)– **المالكية:** أحد المذاهب السنية يعتمد على النص والنقل، وعلى الأثر والرواية، يتكلف به أهل المغرب عمومًا لأنّه يُلاءم طبيعتهم، فأصبح أكثر المذاهب انتشارًا، وهذا راجع إلى مجموعة من العوامل أولها؛ شخصية صاحب هذا المذهب الإمام مالك ابن أنس، ينظر: الونشريسي، المعيار المُغرب والجامع المُغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تح محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ج2، ص169، عمر الجيدي، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، مطبعة النجاح الجديدة، (د.ب)، 1987، ص29.

(3)– **الإباضية:** إحدى فرق الخوارج ينسب إلى عبد اللّه ابن أباض الذّي ظهر في النصف الثاني من القرن الأول، ويرى أنّ صاحب الكبيرة كافر نعمة لا كافر دين، والإباضيين يميلون للمسالمة ولا يزال أتباعهم حتى اليوم بالمغرب، ينظر: نجلاء لطفي، الفرق والمذاهب والجماعات الإسلامية القديمة، مراجعة: آمنة نصير، كلية الدراسات الإسلامية، (د.ب)، (د.س)، ص28.

(4)– **الصفرية:** هم أتباع زياد ابن الأصفر، يقولون بأنّ أصحاب الذنوب مشركون، غير أنّ أهل الصفرية لا يرون قتل أولادهم ولا نسائهم، وقالوا بأنّ الأعمال التّي فيها حد يُسمى صاحبها باسمها كالسارق والقاتل، ينظر:عبد القاهر بن محمد البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم عقائد الفرق الإسلامية وآراء كبار أعلامها، تح محمد عثمان الخشن، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، مصر،(د.س)،ص 84، فخر الدين الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، مراجعة وتحرير: علي سامي النّجار، دار الكتب العلمية، لبنان، 1982، ص51.

(5)– بوبة مجاني: لنّظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي (296–362هـ/ 909– 973م)، دار بهاء الدين، الجزائر، 2009، ص82.

واجهت مقاومة عنيفة من قبيلة **زناتة**[1]، وقد استمر الصدام بينهما إلى غاية رحيل الفاطميين إلى مصر[2].

وقبل التطرق إلى أهم المواجهات بينهما، وأين برز دور بني حمدون، وجب الإشارة إلى أسباب هذه المقاومة الشديدة، وما هي خلفياتها؟

– العداء المذهبي كان يُمثل سببا من أسباب الصراع المباشرة بين الدولة الفاطمية وزناتة، فمن المعروف أنّ الدولة الفاطمية تدين بالمذهب الشيعي، وقد أعلنته في الخلافة رسميًا، بينما كانت غالبية زناتة **معتزلة**[3] وخوارج، وأقوى بطونها آنذاك **مغراوة**[4] التّي تدين بمذهب أهل السنة[5].

– السيطرة على الطرق التجارية، وحطّ الفاطميون لركابهم في بلاد المغرب، ووضعوا أيديهم على التجارة، وبالخصوص التجارة الصحراوية التّي صارت تحت مراقبة الدولة الجديدة، بعد استيلائها على تيهرت وسجلماسة، وهذه بحد ذاتها مركز تجمع قبائل زناتة، وهذا ما يعني أنّها انتزعت من هذه القبيلة أكبر مواردهم ومراكز نفوذهم وسطوتهم[6].

---

(1)– **زناتة:** من ولد زانا أوجان بن يحي ين ضريس، وتُعتبر من أكبر القبائل البربرية وأوفرها عددًا، كما لها أثر كبير في تاريخ المغرب، وكانت مواطنهم في صحراء المغرب، ثمّ انتقلوا إلى المغرب الأوسط حتى سُميّ بموطن زناتة، وإليهم نُسبَ بنو مرين، ينظر: عبد الوهاب بن منصور، مرجع سابق، ص311.

(2)– السيوطي: تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2003، ص411.

(3)– **المعتزلة:** فرقة إسلامية ظهرت في بداية القرن لثاني، وسلكت منهجا عقليا مُتطرفا في البحث والعقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل ابن عطاء الغزال، الذّي اعتزل مجلس الحسن البصري، وللمعتزلة فرق وأسماء عديدة نذكر منها: الجهمية، الثنوية والمجوسية، ودخل الاعتزال إلى بلاد المغرب في وقت مبكر، وكان قد أرسل واصل ابن عطاء داعيته عبد اللّه ابن الحارث بن نصيب للمغرب للدعوة لهذا المذهب، ينظر:محمد بن عبد الكريم الشهرستاني،الملل والنحل، تصحيح احمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، ط2، لبنان، 1992، ص38، عواد ابن اللّه المعتق، المعتزلة وأصولها الخمسة وموقف أهل السنة منها، مكتبة الرشد، الرياض، 1995، ص14.

(4)– **مغراوة:** بطن من بطون زناتة، تنشر في جهات طرابلس على جبل الأوراس والزاب إلى قبيلة تلمسان ثمّ وادي ملوية، ينظر: ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص11.

(5)– عبد الرزاق محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب، ط2، دار الثقافة، فاس، 1985، ص62.

(6)– الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، الدار التونسية، تونس، 1978، ص33.

– لقد كان الكتاميون يُمثلون العنصر المتميز، وكان الفاطميون في المقابل في حاجة إلى عصبية يعتمدون عليها في توطيد أركان دولتهم على بربر كتامة، وعهدوا إليها بالقيادات الهامة. فقد كان للكتاميين أفضل إقامة إمبراطورية فاطمية في شمال إفريقيا[1]، ولما كانت زناتة هي صاحبة السيادة على المغرب الأوسط، وبعض مناطق المغرب الأقصى ووفرة مكاسبها، فإن" الدولة الفاطمية جاءت لترفع من شأن كتامة وتجعل من زناتة تابعة لهم بعد أن كانت مرتبتهم أعلى من مراتب بقية القبائل[2].

– مُساندة الأمويين في إشعال ثورات البربر، مستغلين في ذلك العلاقة التّي كانت تربط بربر الزناتيين بالأمويين منذ إرسال جدهم خزر ابن صولات الزناتي إلى الخليفة الثالث **عثمان ابن عفان**[3]، بعد أن تمّ أسره من قبل المسلمين عند تحرير بلاد المغرب، وقد أكرمه الخليفة أصبح والي على قومه وسائر زناتة[4]،وهذا يعني أنّ الدولة الأموية أرادت الإيقاع بالدولة الفاطمية، فاستغلت العصبية القبلية المُتمثلة بزناتة، كونها تُسيطر على أغلب مناطق بلاد المغرب[5].

لهذه الأسباب قضى الفاطميون السنوات الأولى من حكمهم في صراع مرير مع قبائل زناتة، وقد استمر هذا الصراع طيلة مدة حكم الخلفاء الفاطميين الأربعة الذّين حكموا في بلاد المغرب، وقد برزت أسرة بني حمدون في بعض مجريات هذه الأحداث.

(1)– عروبة حاتم عبيد: قبيلة زناتة وموقفها من قيام الدولة الفاطمية في المغرب (297– 322هـ/ 909– 934م)، ص316.

(2)– المرجع نفسه،: ص317.

(3)– **عثمان ابن عفان:** هو عثمان ابن عفان ابن أبي العاص ابن أمية ابن عبد شمس ابن مناف، وهو قرشي أموي يجتمع هو والنبي صلى اللّه عليه وسلم في عبد مناف وهو ثالث الخلفاء الراشدين المبشرين بالجنة، ينظر: محمد رضا، ذي النورين عثمان ابن عفان الخليفة، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.س)، ص11– 18.

(4)– ابن خلدون: مصدر سابق، ج7، ص4.

(5)– محمد بن عميرة: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص187.

لقد شكل بني حمدون سدًا أمام خطر تحركات **بنو خزر**[1]، الذّين مثلوا أهم وأقوى حليف لبني أمية في المغرب الإسلامي وأشعلوا نار حربهم، وفي **317هـ/ 929م** زحف أميرهم عبد اللّه ابن خرز لمحاصرة قاعدة الفاطميين المستحدثة، ويُشر تحاشي حاكمها علي بن حمدون المواجهة، وضخامة القوة المهاجمة التّي اضطرته للاعتصام بقلعة **فيعَه** بجبل قرب المسيلة[2]، وعلى الرغم من فشله في اقتحام المدينة والإمساك بحاكمها، إلاّ أنّ عبد اللّه ابن خزر قد أفلح في تأييد القبائل الضاربة حول المسيلة، مما شجعه للتوجه نحو مدينة تيهرت، وقاعدة الفاطميين بالمغرب الأوسط، وأغار عليها وقطع خط الإمدادات والمسيرة عنها[3].

وقد أكّد الأمير محمد ابن خزر حسن على ثبات موقف قومه من الخلافة الأموية، وقدّم شرحا للخليفة **عبد الرحمن الناصر**[4] **(300– 350هـ/ 912– 961م)** على ما حققه من انتصارات حجمت قوة الفاطميين وأعوانهم من بني حمدون[5].

بالإضافة إلى ذلك فقد أتاحت جرأة بنو خزر في مواجهتهم للفاطميين وأعوانهم فرصة ليعلى بن محمد اليفرني حليف الفاطميين، في الرجوع عن ولائه لهم، ومبايعته للخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر سنة **347هـ/ 958م**، ربما من أجل تحقيق مصالح ذاتية، فكان ذلك كافيًا لإثارة غضب الخليفة الفاطمي المعز لدين اللّه **(341– 365هـ/ 952– 975م)**، مُدركًا أنّ انفراط

(1)– **بنو خزر**: بطن من بطون قبيلة مغراوة الزناتية، زهي إحدى قبائل البتر، تُركز سكانهم في المغرب الأوسط من الشلف وتلمسان، من جبل مديولة، وجدهم الأعلى صقادب ابن وزومار بعد وفاته تولى حفص الزعامة، وكان يُعد من أعظم أمرائهم، ولما توفي تولى ابن خزر، ومنذ ذلك الحين أعطى بنو خزر ولاءهم للأمويين، ينظر: نهلة شهاب أحمد، مرجع سابق، ص107.

(2)– نهلة شهاب أحمد: المرجع نفسه، ص127.

(3)– المرجع نفسه: ص128.

(4)– **عبد الرحمن الناصر**: كان يُكنى بأبا المطرف، وأمّه أم ولد واسمها مزنة، توفي والده وهو ابن العشرين يومًا، نشأ عبد الرحمن يتيمًا في كفالة جده الأمير عبد اللّه الذّي شمله بالرعاية، وكان جده يُرشحه لمختلف المهام ويِنِدُّ به للجلوس مكانه في أيام الأعياد لتُسَّلم الجُند عليه، ينظر: ابن عذارى المراكشي، ج2، ص156، ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تح أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1964، ص29.

(5)– ابن حيان: مصدر سابق، ص258.

العقد الذّي انتم بيده رغبة أو رهبة، سيعصف بالنتيجة بالكيان الفاطمي برمته، ولمنع ذلك وإيقافه كان لا بُدَّ من أن يكون رده موجعًا لخلفائه قبل أعدائه، ذليل ذلك ضخامة الجيش الذّي أوكلت له هذه المهمة؛ حيث اجتمع على قيادته أبرز قادة ومناصرين الجيش الفاطمي وهم: **جوهر الصقلي**[1]، وجعفر ابن علي ابن حمدون، و**زيري ابن مناد**[2]، وقد أفلح هذا الجيش بإلحاق الهزيمة بالخصم الزناتي، ثمّ واصل الجيش بقيادة جعفر ابن علي ابن حمدون ومن معه تقدمهم نحو فاس وسجلماسة، مُجتاحا بذلك كل من أعلن المناوأة، وقام بتشتيتهم صاروا لاجئين إلى حلفائهم بالأندلس[3].

كما قد استعانت الدولة الفاطمية في بسط نفوذها، والتحكم في قبائل المغرب الثائرة بأُسر عربية كأسرة بني حمدون، وقبائل بربرية كقبيلة صنهاجة، وعينتهم عُمالا في أقاليم المغرب، وأعطتهم حق توارث الحكم في هذه الولايات، وفي إبقاء هذه الأقاليم تحت سلطة الدولة الفاطمية، وعلى هذا فالمهمة التّي أعطيت لعلي ابن حمدون وغيره ذات طبيعة عسكرية بالدرجة الأولى، فهو في نفس وقت السلم سيعمل على الدفاع على منطقته ضد القبائل الزناتية، وسيقوم أثناء الحرب بدعم جيوش الدولة الفاطمية عند مرورها بإقليم الزاب، وبإرسال النجدة إلى المناطق المُعرضة للحصار أو للخطر[4].

(1)– **جوهر الصقلي:** هو جوهر ابن عبد اللّه المعروف بابن الرومي أو الصقلي، وهذا ما يُحيل إلى أنّ أصله من صقلية، عمل في بلاط الفاطميين، وعمل في دواوينهم، وصار في رتبة الوزير حتى إنّه عُرف في فترة ما بالكاتب، كما عُرف بالقائد؛ لأنّه لم يكن للفاطميين قائد في مثل كفاءته، وحينما فتحت مصر لقبه المعز لدين اللّه بلقب مولى أمير المؤمنين، ينظر: عبد المنعم ماجد، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر التاريخي الإسلامي، دار الفكر العربي، ط4، القاهرة، 1994، صص94، 95.

(2)– **زيري ابن مناد:** ابن منقوش ابن صنهاج الأصغر، من تلكاتة وهي فرع من قبيلة صنهاجة وكان من أعظم ملوك البربر، وأول من ملك من الصنهاجيين المغرب الأوسط، وكان بينه وبين الزناتيين حروب كثيرة، وعند قيام الدولة الفاطمية كان زيري ابن مناد من مناصريها، ينظر: ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص202. ابن خلكان، مصدر سابق، ج2، ص343، نور الدين مسعودي، مرجع سابق، ص235.

(3)– السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1999، ص547.

(4)– فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص524، 525.

كما يُمكننا معرفة الدور الذّي قامت به هذه الأسرة من خلال ما فعله المعز لمّا رأى من جعفر ابن علي ما يُزعجه منه، ذكّره أنّ من أهم الأسباب في توليته عاملا على الزاب، وتقريبه إليه ورضاه عنه، هي تلك الخدمات الكبيرة التّي قدّمها والده في أثناء ولايته من خلال ما قاله المنصور الجوذري في كتابه " سيرة الأستاذ جوذر": **<<لا يجعل سلم والده الذّي ارتقى به إلى رضانا، وأبقاه له بعده سلمه هو إلى انحطاط>>**[1].

وسيتخلص ممّ سبق أنّ الخليفة الفاطمي كان قد شهد لعلي ابن حمدون بالمنزلة التّي بلغها، وبالجُهود الكبيرة التّي بذلها في إخضاع قبائل إقليم الزاب، هذه القبائل التّي تتصف بالقوة والغلظة وخشونة، والشجاعة والتهور في الحرب، وكذلك كانت تُعرف بكثرة تمردها وثوراتها[2].

المبحث الثاني: ولاية بني حمدون لأقاليم الزاب، وبناء مدينة المسيلة

إنّ المستوى الرفيع الذّي أظهره علي ابن حمدون للخلافة الناشئة والتفاني في خدمتها أهلته لكي يكون أحد أركانها المعتمدين في تنفيذ سياساتها، فكانت ولايته على الزاب والعهد إليه في بناء مدينة المسيلة بداية لمشواره السياسي، ولكل أفراه هذه الأسرة[3].

وقبل الخوض في تفاصيل حكم هذه المدينة من طرف أسرة بني حمدون وجب أولاً معرفة الأسباب التّي دفعت بالحكام الفاطميين إلى اتخاذ هذا القرار، ولماذا في هذه الفترة بالذات؟

أ. الدوافع الفاطمية في بناء المدينة

يتفق المؤرخون[4] على الظروف التّي تمّ فيها تأسيس مدينة المسيلة، ذلك أنّه حينما توجه أبو القاسم محمد القائم ولي عهد عبيد اللّه المهدي على رأس حملة عسكرة لإخماد الثورات بالمغرب

(1)–المنصور الجوذري: مصدر سابق، ص141.

(2)– محمد بن عميرة: مرجع سابق، ص21.

(3)– نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص124.

(4)– ابن الأثير: مصدر سابق، ص36، ابن خلدون: مصدر سابق، ج4، ص51، القاضي النعمان: مصدر سابق، ص120.

الأقصى، وهذه الثورات كانت بقيادة محمد ابن خزر الزناتي[1]، وهددت استقرار الدولة الفاطمية، إلاّ أنّ أبو القاسم استطاع القضاء عليها وفرّ ابن خزر في الصحاري، وفتح أبو القاسم مزاتة و**مطماطة**[2] **وهوارة**[3] وسائر البلاد الإباضية والصفرية من نواحي تيهرت إلى ما ورائها[4]، وأثناء عودته أمر بإنشائها؛ إذ خطّ برمحه في الأرض شكل بنائها وهو راكب على فرسه وسماها المحمدية على حافة واد القصب سنة **315هـ/ 927م**[5]، وجعل لها بابين أحدهما باب القاسمية نسبة إليه؛ لأنّ كنيته أبو القاسم، وسُميَّ الباب الآخر باب الأمور[6]، وقد تولى بناءها علي ابن حمدون ابن مسعود الجذامي المعروف بابن الأندلسي، وهذا ما تُؤكده العديد من الكتب التّي تذكر مدينة المسيلة وتتفق على أنّها محدثة فاطمية تأسست في أوائل القرن الرابع هجري الموافق للعاشر ميلادي فأوكل بناءها لعلي ابن حمدون[7].

يمكن توضيح الدوافع الفاطمية الحقيقية التّي جعلت أبي القاسم يقوم بتأسيس المدينة بعد انتصاره بالمغرب الأقصى، وهو في طريق العودة أدرك أنّ القبائل الزناتية سوف تعود للثورة من جديد[8]، وهو يعلم بأنّ الحدود الشمالية الغربية آمنة للحلف القوي بين الفاطميين والكتاميين[9]، ولا

(1)– نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص126.

(2)– **مطماطة:** قبيلة من بني فاتن ومطماط لقب لأبيهم، أما اسمه فهو مصكاب، ولهذا الحي بطون كثيرة منشورة في ربوع المغرب وإفريقية، وقد كان لمطماط دور هام في المغرب في عهد الدولة الزيرية، حيث استفحل أمرهم في أواخر الدولة، وظهر أمرهم جليا خلال فترة حماد ابن بلكين مع باديس ابن منصور، ينظر: بوزيان الدراجي، القبائل الأمازيغية أدوارها- مواطنها- وأعيانها، ط4، (د.د)، (د.ب)، 2010، ج1، ص196.

(3)– **هوارة:** هي إحدى بطون البرانس نسبة إلى صوار ابن أوريغ ابن يونس يزعم بعضهم أنّهم من اليمن، بطونها كثيرة منها بنو نبه، أيضا لمياد وسواي، ينظر: ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، صص182، 183.

(4)– الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، ج1،ص42.

(5)– القاضي النعمان: مصدر سابق، ص170.

(6)– رحلي صليحة: المسيلة وجهاتها في العصر الوسيط ـ دراسة منوغرافية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013/ 2014، ص34.

(7)– البكري: مصدر سابق، ص59، الحموي: مصدر سابق، ص585، ابن خلدون: مصدر سابق، ج4، ص107.

(8)– أحمد جاسم حميمد: قبيلة زناتة وأثرها في حركة الخوارج في المغرب العربي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، ع23، 2015، ص326.

(9)– رحلي صليحة: مرجع سابق، ص35.

يخشى شيئا من منطقة قسنطينة، الشيء الذّي جعله يتأكد من أنّ الخطر الزناتي سيأتي عن طريق المسيلة والمسالك الصحراوية؛ وهي مواطن تلك القبائل الرُحّل، وتُعتبر هذه المسالك من أهم الطرق المؤدية إلى إفريقية، والمتغلب عليها يمكنه السيطرة على الطريق الرابط بين إفريقية وبقية المغرب[1].

وبطبيعة الحال فإنّ تأسيس مدينة المسيلة واختيار موقعها كان محل تفكير عميق من طرف مؤسسها، والظروف العسكرية السائدة في تلك الفترة كانت تتطلب منه التمعن في الخطوات التّي يخطوها لتحقيق هدفه المتمثل في إخضاع القبائل البربرية المستقرة في المنطقة[2]، والتّي تُعرف أيضا بمنطقة **الحضنة**، ولقد أعاد بناءها وسط فروع تلك القبائل يقول الإدريسي: << **ويسكنها البربر من بنو برزال**[3]، **وزنداج**[4]، **وهوارة، وصدراته**[5]، **ومزاتة**>>[6]. وهذا من أجل أن تكون قاعدة عسكرية في المنطقة لحماية ظهر الدولة الفاطمية التّي كانت جديدة النشأة ومُحاطة بقوة قبيلة زناتة، وأيضا بعد العاصمة المهدية يصعب عليه فرض سلطته عليها، وهذا ما دفعه إلى وضع أسس قاعدة قتالية جديدة في إقليم الزاب مهمتها مراقبة مضارب زناتة وفروعها، وحماية النفوذ الفاطمي في هذه المنطقة[7]، وعندما قرّر بناءها حصر أبو القاسم على بناءها، فقام بنقل

(1)– ابن حوقل: مصدر سابق، ص86، 87.

(2)– رحلي صليحة: مرجع سابق، ص35.

(3)– **بنو برزال:** من ولد ورنيدين ابن وانتن ابن دمر، واخوتهم بنو وردنين وبنو صمغان وبنو يطوفت، كان هؤلاء في إفريقية وكانت مواطنهم في جبل سالات وما إليها من جبل المسيلة إباضية المذهب، لذلك تحالفوا مع أبي يزيد النكاري الزناتي، ينظر: ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص72، ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تح وتعليق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط5، القاهرة، (د.س)، ص498.

(4)– **زنداج:** يتفق المؤرخون ويذكرونها على انها بطن من بطون قبيلة زناتة، انظر: محمد بن عميرة، مرجع سابق، ص 17.

(5)– **صدراتة:** أو سدراتة، وهي إحدى القبائل البترية الكبرى، ينحدرون من قبيلة لواتة البربرية، بوزيان الدراجي، مرجع سابق، ص139.

(6)– الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،(د.س)، ص156.

(7)– سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيان المرابطين، دار منشأة المعارف، الاسكندرية، 1990، ج3، ص106.

البعض منهم من موقع بناءها إلى القيروان وهم **بنو كملان**[1]، لأنّه توقع الغدر منهم، فأراد بذلك أن يكونوا بالقرب منه، وقد صدق ضنه فيهم؛ إذ عندما قام **أبو يزيد النكاري**[2] بثورته ضد الفاطميين كانوا في مقدمة المؤيدين له[3].

إنّ تأسيس مدينة المسيلة وإطلاق اسم المحمدية عليها واسم القاسمية على أحد أبوابها، يُعد تخليد لاسم أبي القاسم في إطار المنافسة على الإمارة باعتباره قام بها دون علم عبيد اللّه المهدي، كما أنّ اختيار أبي القاسم لموقع المسيلة كان نابع من بعد نظره السياسي، وأيضا من أهمية المنطقة جغرافيًا واقتصاديا[4]، فلا بدّ من أنّ خصوبة موقع المسيلة كان عاملاً مُشجعً بناء المدينة؛ حيث يجري فيه نهر كثير المياه يُدعى بنهر " سهر"، وقد ساعد هذا الأخير في كثرة وتنوع الغلات المزروعة على جانبيه[5]، وقد أشار إلى ذلك الكثير من الجغرافيون نذكر منهم: ابن حوقل الذّي قال في ذلك << **ولها وادٍ يُقال له وادي سهر فيه ماء عظيم... ولهم عليه كروم وأجنّة كثيرة تزيد على كفايتهم وحاجتهم، ومن غلاتهم القطن والحنطة والشعير، وتكثر عندهم المواشي** من **الدواب والأنعام والبقر** >>[6].

(1)– **بنو كملان:** بطن من بطون هوارة على مذهب الإباضية يتواجدون بجبل أوراس، ناصروا ثورة أبي يزيد ضد إسماعيل المنصور، ينظر: علي ابن حماد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد، تح التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار العدالة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ب)، ص85.

(2)– **أبو يزيد النكاري:** هو أبو يزيد مُخلد ابن كيداد، كان والده كيران من أن قسطيلية من مدائن بلاد توزر، وكان يختلف إلى بلاد السودان بالتجارة وبها ولد أبو يزيد، تعلم القرآن وخالط النكارية من الخوارج ومال إلى مذهبهم، ولما مات الخليفة المهدي الفاطمي، خرج أبو يزيد بناحية جبل الأوراس، وركب الحمار ولُقب بشيخ المؤمنين، ينظر: ابن خلدون: مصدر سابق، ج4، ص56. ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ج1، ص216. ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص100.

(3)– نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص125.

(4)– بيرم كمال: بلدية المسيلة المختلطة دراسة اقتصادية واجتماعية بين 1884– 1945، مذكرة ماجستير مقدمة في تاريخ وحضارات البحر المتوسط، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2001/ 2006، ص20.

(5)– نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص126.

(6)– ابن حوقل: مصدر سابق، ص85.

أما البكري فيقول: << **هي مدينة جليلة على نهر يُسمى نهر سهر**>>[1]. أمّا صاحب الاستبصار فيقول: << **مدينة المسيلة وهي بسيط من الأرض على نهر كبير يُسمى بسهر، ومنبعه من مدينة الغدير** >>[2]. أمّا الإدريسي فيقول: << **هو عذب وفيه سمك صغير، وأهل المسيلة يفتخرون به، ويكون مقدار هذا السمك من يشير إلى ما دونه، وربّما اصطيد منه الشيء الكثير فاحتمل إلى قلعة بني حماد**[3]**، وبينهما اثنا عشر ميلاً** >>[4].

ومن خلال تتبعنا لآراء هؤلاء المؤرخين نجد أنّ ابن حوقل صاحب الأهمية الكبيرة؛ لأنّه زار بلاد المغرب وعاصر فترة الخلافة الفاطمية فيصفها بقوله: << **وعليها سور حصين من طوب**>>[5]. أمّا الثاني الذّي جاء به البكري الذّي يذكر أنّ للمدينة سوران، وذلك من خلال قوله: <<**عليها سوران بينهما جدول ماءٍ جارٍ يستدير بالمدينة، وله منافذ يُسقى منها عند الحاجة**>>[6].

فنجد هنا أنّ المؤرخين قد اتفقوا على صورة التعزيزات العسكرية والجغرافية التّي حصنت بها المنطقة، إلاّ أنّهم لم يتفقوا على صورة المدينة وتخطيطها، إذ ذكر أنّها أُحيطت بسور واحد من الطوب، وقيل سورين وجدول ماء، وأنّ هذا الأخير يفصل بينهما ويُحيط بها[7]. ولعل هذا الاختلاف يعود إلى التفاوت الزمني في وصفها،إذ يبدوا أنّ ابن حوقل قد اطلع على المدينة في ابتداء بنائها وما خالفه به البكري، ويعود إلى التطور الذّي شهدته المدينة في الفترات اللاحقة.

---

(1)– البكري: مصدر سابق، ص59.

(2)– مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، تعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د.س)، ص171.

(3)– **قلعة بني حماد:** تقع القلعة على جبل عجيسة البرنسية، وهو جبل كيانه عظيم يمتاز بمناعته وإطلالته على سهول فيعة، انتهى حماد من بنائها سنة (405هـ/ 1014م)، ونقل إليها سكان المسيلة وحمزة فيما بعد، ينظر: عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991، صص93، 94.

(4)– الإدريسي: مصدر سابق، ص156.

(5)– ابن حوقل: مصدر سابق، ص85.

(6)– البكري: مصدر سابق، ص59.

(7)– نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص126.

وعليه يمكن القول أنّ المدينة أُحيطت في البداية بسور واحد ثمّ أُضيف له سور ثاني في فترة لاحقة، وأُحيطت بجدول ماء[1].

هذا فيما يخص الأسباب الكامنة وراء جعل أبي القاسم بأمر علي ابن حمدون ببناء هذه المدينة التّي عُرفت في بداية مشوارها بالمحمدية نسبة إليه، وتخليدًا لشخصيته كما فعل أبوه في تسمية المهدية[2]، ويبدوا أنّ اسم المحمدية الذّي أطلقه الفاطميون على هذه المدينة لم يشتهر كثيرًا، وكان قد غلب عليه اسم المسيلة. وإذا بحثنا في مدلول كلمة المسيلة فإنّنا نجد اسم لقوم سكنوا المنطقة الممتدة بين **باغاية**[3] وسطيف، وهم أشراف مسيلة بني عيسى، وقد نزل عندهم أبو القاسم في أثناء حملته الكبرى بالمغرب[4]، بينما يرى صاحب كتاب "تاج العروس" أنّ مسيلة هي في الأصل اسم قبيلة من البربر[5]، أمّا الهادي روجي إدريس فيقول: "**إنّ المدينة بُنيت على بلدة صغيرة تُسمى المسيلة**"[6].

وعلى العموم فقد شكّل تأسيس المدينة في هذا الموضع بالذات إحراجًا كبيرًا للزناتيين، لاسيما أنّ هذه المنطقة تحوز على مراعي واسعة وعيون مالحة مثلت ولفترة طويلة إحدى المناطق

(1)– نهلة شهاب احمد: مرجع سابق، ص126.

(2)– ابن الأثير: مصدر سابق، ج7، ص36.

(3)– **باغاية:** وهي مدينة كبيرة في أقصى إفريقية بين مجانة وقسنطينة، ينسب إليها الفقيه أحمد بن علي بن محمد الباغاني المقري، ينظر: الحموي، مصدر سابق، ج1، ص325.

(4)– الداعي إدريس: مصدر سابق، ص218.

(5)– مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح عبد السلام محمد هارون، مطبعة التراث العربي، الكويت، 1994، ج8، ص116.

(6)– الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، ج1، ص47.

المهمة لطعام مواشي زناتة[1]، هذا من جهة ومن جهة أخرى تعتبر همزة وصل بين الصحراء والمناطق التلية الغنية بالكلأ والمراعي الفسيحة، والثروات المائية[2].

ب. تطور المدينة في عهد أسرة بني حمدون

بعد انتهاء عملية البناء سنة **315هـ/ 927م** اعتبرت مدينة المسيلة التّي اختطّها القائم بأمر اللّه، وولي عليها علي ابن حمدون[3]، قاعدة لتموين الجيش الذّي يعمل على منع أي تمرد من طرف زناتة، فيؤدي إلى خروج هذه المنطقة من أيدي الخليفة بالمهدية، وأيضا لضمان استمرار سيولة الحركة التجارية إلى بلاد السودان، حيث توجد مناجم الذهب الذّي يحتاجه الخليفة لتحقيق مشروعه السياسي، ولهذا كانت سلطة الوالي الذّي نُصِّب على هذا الإقليم علي ابن حمدون ثمّ ابنيه جعفر ويحي وشكّلا أقوى من سلطة أي حاكم إقليم في الدولة[4].

وقد بلغت مدينة المسيلة خلال حكم هذه الأسرة من العمارة والحضارة الغاية القصوى من التطور في كافة المجالات[5]، كما صارت عاصمة لمنطقة الزاب ومركزًا أدبيا وثقافيا هامًا، وساعد في ذلك شخصية الأخوين جعفر ويحي، بالإضافة إلى الحنكة السياسية والقيادة الحربية واهتمامهما بالعلم والأدب، وبذلك أصبح البلاط الحمدوني مأوى لطلبة وأهل العلم والأدب[6]، ونذكر في هذا المجال الشاعر الشهير ابن هاني، ونظرًا لأهمية هذه الشخصية كان لا بُدَّ من إعطائها حقها في دراستنا، وذلك من خلال التطرق لبعض المحطات الهامة في حياته:

(1)– صاحب الاستبصار: مصدر سابق، ص172.

(2)– رضا بن النية: صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر (80هـ– 699م/ 362هـ– 973م) دراسة اجتماعية، مذكر مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005/ 2006، ص98.

(3)– نور الدين مسعودي: مرجع سابق، ص 230.

(4)– بوبة مجاني: النظم...، ص96.

(5)– رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، الجزائر، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر، الجزائر، 1981، ص168.

(6)– يوسف بن أحمد حوالة: الحياة العلمية في إفريقية منذ الفتح وحتى منتصف القرن الخامس هجري " 90– 450هـ"، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، 2000، ص270.

ابن هاني: هو محمد ابن هاني ابن سعدون، كنيته أبو القاسم الأزدي الأندلسي المغرب شاعر الفاطميين الرسمي، والدّاعي إلى مذهبهم الإسماعيلي، وُلد سنة **326هـ/ 938م** بقرية من قرى مدينة اشبيلية اسمها **سكون**[1]. ويبدوا أنّ قدومه إلى المغرب جاء في الوقت المناسب للفاطميين الذّين ازدادت عليهم حملة أهل السنة، فكانوا بحاجة ماسة غلى شاعر يُمجد إنجازاتهم، وقد بان هذا الشاعر بشكل واضح إلى العيان خاصة في مدينة المسيلة، فقام بتعظيم إنجازاته علي ابن حمدون وابنه جعفر؛ لأنّ علاقته مع جعفر ابن حمدون كانت وطيدة[2] لدرجة أن سُميّ بممدوح ابن هاني[3]، بحيث يقول ابن الأبار: <<**فخرج من ألبيرة، فاتصل بجعفر ابن علي ابن حمدون الأندلسي، وبأخيه يحي ثمّ صحب المعز معد ابن إسماعيل صاحب إفريقية والمغرب وغلا في مدحه بأوصاف أنكرت واستعظمت**>>[4]، فقد نظّم ابن هاني العديد من القصائد التّي مدحت أسرة بني حمدون، وبالأخص جعفر ابن علي وقد وردت في ديوانه المُعنون باسمه، ونذكر منها القصيدة التّي قالها من أجل مدح جعفر ابن علي ابن حمدون صاحب بلاد الزاب:

ألاّ أيّها الوادي المُقدّس بالنّدى وأهل النّدى قلبي إليك مُشوَّق.

ويا أيّها القصر المُنبثق قبابه على الزاب لا يُسدد إليك طريق.

ويا ملك الزاب الرفيع عماده بقيت لجمع المجد وهو فريق.

على ملك الزاب السلام مردداً وريحان مسك بالسّلام فتيق[5].

(1)– ابن خلكان: مصدر سابق، ج4، ص49.

(2)– أحمد بن ذياب: ابن هاني الأندلسي، مجلة الأصالة، ع 11، نوفمبر 1972،ص 131.

(3)– ابن حماد الصنهاجي: مصدر سابق، ص69.

(4)– ابن الأبار: الحلة السيراء، تح حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985، ج1، ص305.

(5)– أحمد بن ذياب: المسيلة وإمارة بني حمدون وأميرها جعفر بن علي، مجلة الأصالة، ع07، أفريل 1972، ص55.

وحسب جعفر ابن علي الأمير الحمدوني، فإنّه هو المعني بقول ابن هاني في القصيدة التّي تقول[1]:

أليت أصدر عن ركابه بعدما جئت السماء ففتحت أبوابَا.

ورأيتُ حولي وفد كل قبيلة حتى توهمت العراق الزابَا.

أرض وطئت الدُرَّ رضراضًا بها والمسك تربا والرياض حبابَا.

وسمعت فيها كل خطبة فيصل حتى حسبت ملوكها اعرابَا.

ورأيت أجمل أرضها منقادة فحسبتها مُدّت إليك رقابَا.

وسألت ما للدهر فيها أشيبا فإذا به من همِّ بَأْسِك شابَا[2],

وفاته: تُوفي ابن هاني سنة **362هـ[3]/ 973م** تاركًا وراءه ديوانا عظيما وضخما، احتوى على كم كبير من القصائد التّي أوردها في مدح أسرة بني حمدون ملوك الزاب، ونظرًا للمكانة التّي وصل إليها ابن هاني فإنّ المؤرخين يضعونه في المقام الأوّل بين الشعراء.

أما فيما يخص الجانب العمراني لمدينة المسيلة في عصر أسرة بني حمدون فقد كان مُتنوع ومُتطور، باعتبار أنّ المدينة أُسّسَت لسبب عسكري بالدرجة الأولى، وهو صد هجمات قبيلة زناتة، وقد حرص علي ابن حمدون على تحصينها بطريقة جيدة تفاديًا لخطر هذه القبيلة[4].

(1)– سعداني محمد: الدور الحضاري لمدينة المسيلة خلال القرن الرابع هجري العاشر ميلادي، مجلة الحوار المتوسطي، ع8، مارس 2015، ص180.

(2)– ابن هاني الأندلسي: ديوان ابن هاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1980، ص198.

(3)– ابن خلكان: مصدر سابق، ج4، ص470.

(4)– بن قربة صالح: تاريخ مديني المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي دراسة تاريخية أثرية، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص18.

لقد استفادت المدينة من التحصين الطبيعي الذّي يُوفره مجرى الوادي، كما عمل علي ابن حمدون على تحصين المدينة بإقامة سور قوي مُدعم بسور آخر، فكانت أسوارها من مادة الطوب، بينما بُنّيت أسُسها بحجارة الدبس وكانت تحتوي على عدد كبير من الأبراج، فالمسيلة منذ نشأتها احترمت الشروط الأساسية لتخطيط المدن[1]؛ حيث يقول ابن جهاد: <<**بلغت المسيلة أيام علي ابن حمدون وابنيه جعفر ويحي من العمارة والحضارة الغاية القصوى، وجمعت إليها الأقوات وأنواع المأكولات فادخرت، فكان علي ابن حمدون إذا ارتفعت الأسعار يكتب لأبي القاسم يستأذنه في البيع فينهاه عنه، وبأمره بالاستكثار والادخار**>>[2].

من خلال ما يقوله ابن حماد نستنتج مدى التطور في العمران الذّي وصلت إليه هذه المدينة في تلك الفترة، فقد كانت تُحقق اكتفاءها وتدخر ما تبقى، هذا وإن دلّ إنّما يدل على الجهود المبذولة والتّي قام بها جعفر ابن علي من أجل النهوض بهذه المدينة من كافة الجوانب، وبما أنّها كانت على اتصال بالمدن الأخرى، فقد أُنشأت عليها الكثير من الفنادق من أجل استقبال التُجار الأجانب، كما أنّ رغبة أمراء المدينة في النزهة قد ساعدت على توسيع عمران المدينة خارج نطاق الأسوار، وأُنشأت أيضا الحدائق والجنان والمناظر[3].

إضافة إلى تأثر تخطيط المدينة بوجود مقر السلطة فيها، وفي الحركة التّي يجذبها هذا المركز مرورًا منه وإليه، حيث زاد المتوجهون لوسط المدينة لقضاء حاجاتهم في أسواقها، والقيام بواجبهم الديني في جامعها، وقضاء أمورهم الإدارية في دواوينها، فكان يدخل المدينة عدد كبير من النّاس لقضاء مصالحهم خاصة وأنّ المدينة كانت عاصمة جهوية كبيرة ، عما أنّ عائلة بني حمدون عملت على تحصينها وتوسيعها[4]، وهذا ما يُؤكده ابن خلدون في قوله: <<**استجدوا بها سلطانا**

(1)–بن قربة صالح: مرجع سابق، صص18، 19.

(2)– ابن حماد الصنهاجي: مصدر سابق، ص 64.

(3)– بن قربة صالح: مرجع سابق، ص19.

(4)–المرجع نفسه: ص22.

ودولة، وابنوا القصور والمنتزهات، واستفحل فيها أمرهم>>[1]، أماّ فيما يخص تأمين المدينة ومكانها من الآفات الاجتماعية كالسرقة فقد اعتمد سكان المدينة كغيرهم من سكان المدن المغربية على جهاز شرطة قوي، ومن المحتمل أنّها كانت تقوم بغلق الأزقة والشوارع والأبواب ليلاً، كما كان الحال في **فاس**[2]، فتكون الأحياء عند بعضها البعض، الشيء الذّي يُسهل عمل المراقبة والقضاء على الدعارة واللصوص[3].

كما عمل علي ابن حمدون ومن جاء بعده على جلب أهل العلم والصنائع والعمل على تسكينهم بالمدينة، وتوفير الوسائل والتحفيز، فكان هدفه هو الوصول إلى الاكتفاء الذاتي من ناحية المهارات التّي يحتاج إليها اقتصاد المدينة[4]، كما نهضت هذه الأسرة بالجانب الزراعي والصناعي، وكانت تُنتج البساتين والحقول المحيطة بالمدينة الحنطة والشعير والفواكه والبقول والسفرجل المستطيل المنسوب إلى **تنس**[5]، والمصدر إلى القيروان والقطن الجيد، وقد ساعدت هذه المراعي الممتازة على تربية الأنعام والدواب ولا سيما الخيول[6].

وقد عملت أيضا هذه الأسرة على استقطاب الصنائع وأهل الصناعات[7]، ومن هذه الصناعات التطريز بأسلاك الذهب والحرير والجلد[8]، حتى أصبحت تُصدر للمدن الأخرى مثل القيروان،

(1)– ابن خلدون: مصدر سابق، ج4، ص176.

(2)– **فاس:** بُنيت هذه المدينة 191هـ/ 806م، على يد إدريس الثاني مع وزيره عميرة بن مصعب الأزدي، حيث جمع الوزير مع أميره عدوتين هما عدوة الأندلسيين وعدوة القرويين، وتكونت بذلك هذه المدينة، ينظر: جمال أحمد طه، مدينة فاس عصري المرابطين والموحدين دراسة سياسية اقتصادية، دار وفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2001، ص46.

(3)– بن قرية صالح: مرجع سابق، ص22.

(4)– سعداني محمد: مرجع سابق، ص 185. بن قربة صالح ، مرجع سابق، ص22.

(5)– **تنس:** مدينة بينها وبين البحر ميلان، وهي آخر إفريقية ممّا يلي المغرب بينها وبين وهران 8 مراحل، وهي بين تلمسان وقلعة بني حماد، وهي كثيرة الأنداد والضباب والأمطار، سميت قديمًا بعراق المغرب، تعاقب على حكم هذه المدينة بني رستم، ينظر: الحموي، مصدر سابق، ج2، ص4.

(6)– الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، ج2، ص92.

(7)– بن قربة صالح: مرجع سابق، ص23.

(8)– أحمد توفيق المدني: تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا وجغرافيتها الطبيعة والسياسية، وعناصر سكانها وتدينها ونظاماتها وقوانينها ومجالسها وحالتها الاقتصادية والاجتماعية، دار المطبعة العربية، (د.ب)، (د.س)، ص238.

وحسب ما يقوله مبارك الميلي: **إنّ كثرة الأسواق بالمدينة ما هي إلاّ صورة مباشرة على كثرة المبيعات الصناعية والزراعية**[1].

كل هذا يجعلنا نقول بأنّ الحياة السياسية بمختلف أشكالها قد انعكست انعكاسا واضحا على مدينة المسيلة، ولقد اتسمت هذه المدينة منذ نشأتها بصفات النظام السياسي والفكي والاقتصادي، فعكست بذلك مراحل القوة والضعف في هذا النظام، ولقد كانت نشطة ومزدهرة تُظاي في ازدهارها المدن الأخرى مثل مدينة **المنصورية**[2]، في عهد بني حمدون ومن جاء بعدهم، وعرفت أيضا الضعف والتطور في عهود كثيرة لاحقة[3].

المبحث الثالث: دورهم في القضاء على ثورة أبي يزيد مخلد ابن كيداد

لقد كانت ثورة أبي يزيد من أخطر الثورات ضد الفاطميين، فقد هزت العرش الفاطمي وعرّضته للسقوط، واقتطعت منه كلّ البلاد ما عدا العاصمة وتركته في حالة اضطراب وفوضى لمدة قاربت الأربع سنوات[4]، وتُعتبر هذه الثورة امتدادًا لتمرد زناتة على الحكم الفاطمي، ورغبتها في القضاء على الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب[5].

ابتدأ أمر أبي يزيد مخلد ابن كيداد اليقرني كما يذكر ابن عذارى سنة **316هـ/ 928م**[6]، والظاهر أنّه لم يتمكن إلى الحد الذّي يستطيع فيه الإعلان عن ثورته في وجه عبيد اللّه المهدي في هذا التاريخ، وظلّ أبو يزيد يدعو لقتال الفواطم سرًا متخفيًا في كثير من مناطق المغرب

(1)– مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ج2، ص643.

(2)– **المنصورية:** هي مدينة تقع غربي القيروان، اختطها وبناها المنصور سنة 334هـ، بعد الانتصار الذّي حققه على أبي يزيد النكاري، تبعد عن القيروان بنصف ميل، وظلت منذ ذلك الحين عاصمة للدولة الفاطمية إلى أن رحل الفاطميون سنة 362هـ، وقد أثراها المنصور بنقل الكتب التّي كانت برقادة والمهدية، ينظر: ابن حوقل، مصدر سابق، ص74.

(3)– بن قربة صالح: مرجع سابق، ص23.

(4)– عبد اللّه محمد جمال الدين: الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع هجري مع عناية خاصة بالجيش، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991، ص65.

(5)– بوبة مجاني: النظم...، ص96.

(6)– ابن عذارى المراكشي: مصدر سابق، ج1، ص93.

الأوسط بين جبل الأوراس؛ وهو إحدى جبال المسيلة حتى الوقت الذّي وصل فيه مع أصحابه وسائر الخوارج أين اجتمعوا وبايعوه على قتال الشيعة[1].

كما استطاع أبو يزيد خلال ثلاث سنوات تقريبا أن يجتاح إفريقية ويقضي على نفوذ الشيعة في المغربين الأوسط والأقصى، إثر سلسلة من العمليات الحربية، وكان قد أُفنيَ فيها كثير من جنود الشيعة الفاطميين حتى وصل إلى أبواب المهدية، وكان ذلك سنة **333هـ/ 944م**[2].

ومن خلال تتبعنا لهذه الأحداث من بدايتها إلى غاية انتهاء أمر هذه الثورة، يبرز لنا دور أسرة بني حمدون ومدينة المسيلة في مجريات هذه الأحداث[3].

حيث بدأت بوادر هذه الثورة تظهر ب**الجريد**[4]، فقد وصلت القائم أخبار مفادها أنّ سكان الناحية يُنظمون لهذه الثورة ضده[5].

والملفت للانتباه هو القبول الواسع الذّي لقيته دعوته، ومن إقبال كبير نحو جبال الأوراس والزاب وانضمام القبائل إليه؛ حيث يقول ابن حماد: <<**وسار إلى جبل الأوراس وفيه قوم من هوارة يُقال لهم بني كملان من أهل مذهبه، فقام فيهم وقوّى بهم شوكته، واستفحل أمره**>>[6]، وبقيت هذه القبائل تحت حكمه ينتظرون الفرصة السانحة للهجوم على كل من يُمثل الفاطميين، ولهذا الأمر طلب القائم من علي ابن حمدون بالاحتفاظ بما في المخازن من مُؤن، ومحاولة الحصول على مُؤن جديدة، وذلك لأنّ ساعة احتياجها أصبحت وشيكة على أن تُصبح عاملاً أساسيا في

(1)– عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس والمغرب، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007، ص196.

(2)– نفسه.

(3)– أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د.س)، ص67.

(4)– **الجريد**: انما سميت بهذا الاسم لكثرة النخيل بها وهي مدن كثيرة وأقطاب واسعة وعمائر متصلة ، كثيرة الخصب والتمر، وهي اخر بلاد افريقية على طرف الصحراء وفيها المياه السانعة والأنهار والعيون الكبيرة فأولها من جهة الساحل قابس، ينظر: كتاب الاستبصار، مصدر سابق، ص150.

(5)– بن قربة صالح: مرجع سابق، ص26.

(6)– ابن حماد الصنهاجي: مصدر سابق، ص30.

كسب المعركة الفاصلة أو خسارتها. وفعلاً بدأ صاحب الحمار يُثير القبائل البربرية الواحدة تلو الأخرى، ويجتذب بذلك الأنصار والأتباع[1]، وكثُر بالمقابل عدد مناصريه فجهر بدعوته وخرج على الشيعة، ونزل من الأوراس مُتجها نحو إفريقية[2].

هنا يبرز دور المسيلة وحاكمها علي ابن حمدون العسكري، والمتمثل في توفير المُؤن للجيش الفاطمي، لمواجهة الثائر أبي يزيد. كما أنّها تحولت إلى محطة لتجميع الجيش الفاطمي لمواجهة أبي يزيد[3].

وللإشارة فإنّ المدينة كانت قد تعرضت للحصار والتخريب والعوز، خصوصا في فترة عبور الثائر أبي يزيد على المسيلة، واعتصامه بجبل بني برزال، ومتابعة الخليفة المنصور له رغم مرضه الذّي اشتد به، وجعله يستقر فترة من الزمن في مدينة المسيلة. ممّا شجع أبي يزيد على العودة ومحاصرة المسيلة في شعبان **335هـ**[4] **/946م**، وفي الأيام الأولى من جمادى الآخرة سنّ صاحب الحمار هجوما على المهدية، وتمكن فيه من اقتحام الخندق المحفور حولها، ووصل إلى المصلى الواقع بالقرب منها، واستولى على **زويلة**[5]، واشتغل أصحابة بالنهب والقتل فيها، وصمد جنود المهدي في الدفاع عنها، إلى أن وصلتهم نجدي زيري ابن مناد الصنهاجي[6]، وبقي هناك يُكمل حصاره للمهدية، ويمنع الدخول والخروج منها، وفي هذه الأثناء لحقت به العديد من

(1)– ابن خلدون: مصدر سابق، ج4، ص84.

(2)– بن قربة صالح: مرجع سابق، ص26.

(3)– مديازة صورية: بلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى غاية انتقال الفاطميين إلى مصر (21– 362هـ/ 642– 972م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص التاريخ الإسلامي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009/ 2010، ص24.

(4)– المقريزي: اتعاظ ...، ج1، ص85.

(5)– **زويلة**: مدينة عامة، نسبة إلى بربر زويلة، أسسها عبيد اللّه المهدي، وأسكنها وجمع بها العامة من أهل الأسواق وغيرهم، بغرض أن تكون أموالهم وتجارتهم تحت سلطانه ليلاً ونهارًا، ويضمن بذلك طاعتهم الدائمة، ينظر: سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ص99.

(6)– ابن الأثير: مصدر سابق، ج6، ص305.

القبائل[1]، إلاّ أنّ القائم استمر في محاولات كثيرة لفتح المهدية، لكنها باءت بالفشل، وكانت هناك ظروف أخرى ساعدت القائم فيما بعد على فتح حصار المهدية تمثلت في: أنّ أصحاب عدوه أبي يزيد قد تفرقوا بعضهم في الغارات والنهب، <<**وبعضهم كانوا يأتون إليه ينهبون ويقتلون ويرجعون إلى منازلهم، فلما لم يبقى ما يُنهب توقفوا عن المجيء**>> [2]، أو إنّهم يئسوا من الانتصار، والبعض الآخر تركوه لأنّه غيَّرَ سيرته، فصار يلبس الحرير ويركب عتاق الخيل، بعد أن كان يلبس خشين الصوف، ويُمسك العصا ويركب على الحمار[3].

في هذه الأثناء جعل الخليفة القائم جيشًا عظيمًا بقيادة علي ابن حمدون من أجل فك الحصار عن المهدية، فالتقى الجيشان بناحية **باجة**[4]، واشتد القتال بينهما فانهزم علي ابن حمدون وأوى لجهله بالطريق إلى موضع وعر، فغرس حصانه فيه، ولما هجموا تواثب فرسان لهم خيول فركبوا وتفرقوا في الأوعار، فسقط علي ابن حمدون جرف عالٍ، فانكسرت عظامه ومات سنة **334هـ/ 946م**[5]، بينما يقول محمد بن عميرة رأي آخر مفاده أنّ أبي يزيد قد نصب كمينًا لعلي ابن حمدون الأندلسي الذّي كان مُتجها بجيش جمعه من المسيلة وسطيف، وكل من انظم إليه من أجل إمداد القائم به فهزم أيوب ابن مخلد علي ابن حمدون وفرق جموعه[6].

خرج المنصور من القيروان متجها إلى المغرب وفي طريقه مرّ إلى طبنة فوصل إلى المسيلة سنة **335هـ/ 947م**، وتمكن فعلاً من هزيمة أبي يزيد صاحب الحمار، ومكث هذا الأخير بجبل كيانة أي جبل المعاضيد الحالي، وبعد هذا الانتصار العظيم عاد الخليفة إلى المسيلة التّي

(1)– ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص205، ابن خلدون: مصدر سابق، ج2، ص20، ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286، ص59.

(2)– المقريزي: اتعاظ ...، ج1، ص79.

(3)– محمد بن عميرة: مرجع سابق، ص205.

(4)– **باجة:** مدينة إفريقية بينها وبين تنس يومان، تُعرف بباجة القمح؛ سميت بذلك لكثرة حنطتها، وهي مدينة كثيرة الأنهار، على جبل يُقال له عين الشمس، ينظر: الحموي، مصدر سابق، ج1، ص314.

(5)– مبارك الميلي: مرجع سابق، ص644.

(6)– محمد بن عميرة: مرجع سابق، ص207.

ساهمت مساهمة كبيرة في القضاء على هذه الثورة، وأكّد لجعفر ابن علي ابن حمدون على ولايتها وعلى الزاب، وأذِن لأخيه بالبقاء معه في مدينة المسيلة[1]، ثمّ أسرع المنصور إلى نصب مُعسكره في المنخفض الذّي نزل فيه يوم الأربعاء عند طلوع الشمس مستعدًا للقتال، فجعل جيشًا عظيمًا من قبائل كتامة وجعفر ابن علي صاحب المسيلة قائمًا على ميمنته[2]، ودارت بينهما معركة عظيمة انتهت بفرار أبي يزيد إلى أعالي الجبال، في حين رجع المنصور إلى معسكره؛ حيث إنّ الخليفة المنصور بعد المعركة رحل إلى المسيلة عند ابن حمدون، وبعدما قضى أسبوعين عنده خرج منها سنة **334هـ**[3]/ **946م**، وبعد كر وفر بين الجيشان انتهت باستمالة أبي يزيد في المقاومة، وأُصيب بجروح خطيرة غير أنّه تمكن من الفرار وقتل عدد كبير من أصحابه، وفي صباح اليوم التالي عثر عليه في إحدى الوهاد، ففوجئ به المنصور الذّي أمر بمعالجة جروحه [4] لأنّ المنصور كان ينوي الإبقاء على حياته والاحتفاظ بها كرمز لانتصاره، إلاّ أنّ أبي يزيد توفي متأثرا بجروحه، وكان ذلك سنة **336هـ/ 947م**، فأمر المنصور بإدخاله في قفص عُمل له، وجعل معه قردين يلعبان عليه، وأمر بسلخ جلده، وحشاه تبنا وكُتب على سائر البلاد بالبشارة[5].

وعلى العموم فالدور الذّي لعبته مدينة المسيلة من توفير المؤن، وتجهيز الجيش ومحاولة فك الحصار عن المهدية، كل ذلك كان بتدبير من أسرة بني حمدون التّي وهبت حياتها وولائها المطلق لصالح الدولة الفاطمية والدعوة الشيعية دون أي مقابل، ومن أهم الخسائر التّي لقيتها هذه الأسرة ضد أبي يزيد هي موت علي ابن حمدون بعد صراع مرير معه.

ونظرًا لهذا الدور الكبير فقد كافأ الناصر جعفر ابن علي بأن جعله واليا على مدينة المسيلة مكان والده، وكافة إقليم الزاب، وهكذا أصبحت المدينة مهدًا للأسرة الحمدونية، وقضت المدينة مدة

(1)– بن قربة صالح: مرجع سابق، ص27.

(2)– فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص 294.

(3)– المرجع نفسه: ص295.

(4)– سعد زغلول عبد الحميد: مرجع سابق، ص188.

(5)– ابن حماد الصنهاجي: مصدر سابق، صص44، 45.

عشرين عامًا تتمتع بالاستقرار والأمن والطمأنينة، ممّا ساعدها على الارتقاء من مستوى القاعدة العسكرية الكبيرة، إلى مستوى العاصمة الحضارية الزاهرة[1]، كما استفادت من فترة الهدوء والرخاء التّي تبعت سنين الخراب والحرب، وفي نظر ابن خلدون أنّه هذه الأسرة أنشأت عددًا من القصور والديار والمنازل الفاخرة، وعملوا على توسيع سلطانهم[2].

لقد كان للظروف السياسية التّي تلت تولي الفاطميين السلطة أثرها على المدينة؛ حيث تأثرت منذ نشأتها بكثرة الثورات والصدامات المضادة[3].

إنّ الدراسة العلمية لمدينة المسيلة في عهد العائلة الحمدونية بيّنت أنّ هذه الأخيرة في مرحلة النشأة قامت بوظيفة العاصمة لإقليم الزاب، لكن هذه الأسرة لم تُعمر طويلاً، فبمجرد فرار جعفر ابن علي ابن حمدون من المدينة وتركه لبلاد المغرب تحت وطأة مجموعة من الظروف والأسباب فنتناولها فيما تبقى من الدراسة، وانتقلت فيما بعد هذه المدينة إلى مدينة أخرى، وهي مدينة **أشير**[4].

(1)– رشيد بورويبة وآخرون: الجزائر في تاريخ العهد الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص152.

(2)– ابن خلدون: مصدر سابق، ج4، ص85.

(3)– بن قربة صالح: مرجع سابق، ص28.

(4)– **أشير**: مدينة جبال بالمغرب في طرف إفريقية الغربي مقابل بجاية في البر، كان أوّل من عمرها زيري ابن مناد الصنهاجي سنة 334هـ، وهي تقع بموقع خالٍ وليس به أحد، مع كثرة عيونه وفضائه الواسع نسب إليها الشيخ الفاضل محمد عبد اللّه ابن محمد الأشيري، ينظر: الحموي: مصدر سابق، ج1، صص202، 203.

الفصل الثالث:التوجه الجديد للعلاقات بين بني حمدون والفاطميين بعد تنقلهم إلى مصر

المبحث الأول: الفاطميون يولون زيري ابن مناد على المنطقة

المبحث الثاني: الصراع بين زيري ابن مناد وجعفر ابن حمدون

المبحث الثالث: لجوء حمدون لطاعة الأمويين بالأندلس

المبحث الأول: الفاطميون يولون زيري ابن مناد على المنطقة

لقد تطلع الفاطميون منذ قيام دولتهم في المغرب إلى توجيه أنظارهم إلى مصر، لثرائها وأهمية موقعها الجغرافي سياسيًا وحربيًا، خصوصًا وأنّ هذه البلاد كانت إليهم ولاية الشام، فكان امتلاك مصر امتلاكًا لهذين البلدين العظيمين.[1]

فرغم نجاح الإسماعيلية نجاحًا باهرًا في إقامة الدولة الفاطمية، إلاّ أنّ هذا النجاح تخللته مخاطر عديدة كادت تعصف بهذه الدولة في أزهى أيامها، فقد كانت المنطقة تشهد صراعًا مذهبيًا عنيفًا زاد من حدته تلك المقاومة الشرسة التّي أبداها أهل السنة[2]، وعلى رأسهم علماء المالكية ضد الشيعة[3]، والذّين تباين رد فعلهم ضد هؤلاء الشيعة وسياستهم في نشر مذهبهم لذلك أدرك المُعز أنّ هذه المنطقة لن تحقق له هدفه المنشود، والمتمثل في الانفراد بحك العالم الإسلامي، وأن يقضي على الخلافة العباسية القائمة بالمشرق[4]ليحل محلها، ولن يتحقق هذا الهدف إلاّ بالاستيلاء على مصر والعبور إليها.

ولمّا اطمئن المعز على سيطرته في المغرب وقضائه على العصيان والتمردات فيها، حشد لجوهر الصقلي قائده المظفر بالمال والعدة[5]، وأرسله في جيش معظمه من المغاربة من قبيلة

(1)- حسن حضيري أحمد: علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب **(362- 567هـ/ 973- 1171م)**، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د. س)، ص27.

(2)- إنّ موقف علماء السنة كان شديدًا وعنيفًا ضد الشيعة؛ لأنّهم كانوا يصدرون في مواقفهم من دافع ديني شرعي بحت، وقد أخذت مقاومة علماء السنة أشكالاً وأنماطًا عديدة ومختلفة، فمرة تكون في شكل اعتزال لكلّ ما هو شيعي ولكل ما له صلة بالشيع، ومرة تأخذ شكل الجدال. وتقع بينهما معارك جدلية عنيفة يقودها جماعة من الفرقين، وبلغت في بعض الأحيان إلى المقاومة المسلحة يحمل فيها العلماء سلاحًا، ولا استغرابًا في ذلك إذا عرفنا أنّ القتل والتعذيب من أبرز سمات الحكم العبيدي، ينظر: إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة-دراسة في الصراع العقدي في المغرب العربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس، مؤسسة الرسالة، لبنان، 2005، ص307.

(3)- بن زاوي طارق: استقلال المعز ابن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية (**406- 454هـ/ 1016- 1062م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2008، 2009، ص53.

(4)- نفسه.

(5)- المقريزي: اتعاظ ...، ج2، ص138، المقريزي، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر، بيروت، (د. س)، ج1، ص127.

كتامة ونحوها من طوائف البربر نحو مصر، وهذا الجيش لم تشهد له مصر مثيلاً في العصور السابقة[1]، وقد قُدّر عدده بحوالي مائة ألف رجل انطلقت من القيروان سنة **358هـ/ 969م**، واستولت على **الإسكندرية**[2] ثمّ الجيزة، ونزل الجيش الفاطمي في شرق **الفسطاط**[3] تُحيط به الجبال، وفي هذا المكان تأسست القاهرة[4]، لتُكوّن قاعدة أساسية عسكرية للخلافة الفاطمية، وقد بُنيت فيها القصور والدواوين وثكنات الجيش[5].

وقد سمّاها جوهر الصقلي بالمنصورية سنة **358هـ/ 969م**، تيمنًا باسم مدينة المنصورية التّي أنشأنها الخليفة الفاطمي المنصور، ثمّ بعد ذلك تحول إلى القاهرة تفاؤلاً بأنّها ستقهر الخلافة العباسية السنية.[6]

وقد اجتمعت عدة عوامل مهدت الطريق لتحقيق هدف الفاطميين في غزو المشرق، وكان على رأسها الحالة الاقتصادية والسياسية السيئة التّي كانت تمر بها مصر في هذه الفترة[7]، وأواخر حكم

(1)- عبد المنعم ماجد: تاريخ الخلافة الفاطمية، دار الفكر، الأردن، 2011، ص67.

(2)- **الإسكندرية:** هي الثغر المحروس والقطر المأنوس العجيبة الشأن الأصيلة البنيان، بها ما شئت من تحسين وتحصين، جمعت بين الضخامة والإحكام، مبانيها الزاهية بجمالها المُغري، الجامعة لمفترق المحاسن لتوسطها بين المشرق والمغرب، لها أربعة أبواب متفرقة؛ باب السدرة وباب رشيد، وباب السحر وباب الأخضر، ينظر: شمس الدين عبد اللّه تواتي، رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأصفار، تح عبد اللّه الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997، مج1، ص179.

(3)- **الفسطاط:** مدينة تضمها قائمة الأمصار الإسلامية، تأسست نتيجة الفتوحات، سكانها من القبائل العربية متعددة، كما هو الحال في البصرة، وقد ضلت في فترات متلاحقة تعمل وظيفة العاصمة لمصر، وشهدت خلالها تطورات عمرانية وسكانية كبيرة، ينظر: عبد الجبار ناجي، مرجع سابق، ص207.

(4)- سوزي حمود: الفاطميون والزنكيون والأيوبيون والمماليك وصراعهم حول السلطة في المشرق العربي **(362- 923هـ/ 973- 1517م)**، دار النهضة العربية، مراجعة عصام شبارو، لبنان، 2010، ص18.

(5)- ابن حوقل: مصدر سابق، ص147.

(6)- المقريزي: المواعظ...، ج1، ص377.

(7)- أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر-تفسير جديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2007، ص132.

الأخشيديين[1](**352- 358هـ/ 963- 967م**)، وضعف الخلافة العباسية المتزايد تحت سيطرة **البوهيين**[2]، وجاءت وفاة **كافور الإخشيدي**[3]في ظل الغلاء الشديد الذّي أصاب البلاد، ولم يبق في مصر من تجتمع عليه القلوب[4]، فتمّ تعيين ابن الفوارس أحمد- حفيد إخشيد- ولم يكن قد تجاوز سن العاشرة من عمره تحت وصاية بعض من وزرائه، فأصبحت البلاد في عهده مسرحًا للفوضى، فتمّ القبض على طائفة من كبار الموظفين وذوي الرأي ومصادرة أموالهم[5]،

(1)- **الإخشيديين:** من أصل تركي، مؤسس هذه الأسرة الحاكمة في مصر محمد ابن طفج الذّي برز أثناء غزو العبيدين، ثمّ منح لقب الإخشيد بطلب منه ليدعى له على المنابر، بعد أن نجح في صد الفاطميين وعقد الهدنة معصم، وفي سنة 349هـ/ 960م، وتولى الحكم أبو الحسن الذّي حكم ست سنوات، وكان المتصرف في شؤون الدولة الحقيقي كافور، وتولاها مستقلاً لسنتين عدة، وبوفاته انقطع أمر هذه الدولة في مصر سنة **357هـ/ 967م**، ينظر: شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالاتها، دار العلم للملايين، بيروت، 1993، ج1، ص345.

(2)- **البويهيين:** تُنسب هذه الدولة إلى زعيم فارسي يُدعى بويه من إقليم الديلم في جنوب غرب بحر قزوين، ويرجع البعض نسبه إلى آل ساسان، ملوك الفرس القدماء، وبرز نجم هذه الأسرة عندما التحق بويه هو وأبناؤه الثلاثة علي وحسن وأحمد لخدمة مواطن لهم يُدعى مزداويج بن زياد، الذّي كان قد استقل بمنطقة طبرستان، ثمّ همذان ثمّ أصفهان سنة **318هـ/ 930م**، وبعد مقتل مزداويج على يد جنوده تقرب الإخوة الثلاث من الخليفة المستكفي الذّي استقبله استقبالاً حافلاً، وقلده منصب أمير الأمراء، وهكذا فقد احتل البويهيين السلطة في الخلافة العباسية، ومن كافة جوانبها، وحلوا محل الأتراك، ولم تكتسب الخلافة العباسية شيئًا من وراء ذلك، وأصبحوا خلفاء بلا نفوذ، واستمر بنو بويه في الحكم مدة قرن من الزمان، وكانت عاصمتهم مدينة أشير ببلاد فارس، تطورت خلالها الحياة العلمية والثقافية والعمرانية، ثمّ أخذت تضعف نتيجة الانقسامات التّي حدثت بين أفراد الأسرة، وكانت نهايتهم على يد الأتراك سنة **447هـ/ 1055م**، وقضى على الملك الرحيم آخر ملوك بني بويه، ينظر: أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، (د.س)، ص-ص160-175.

(3)- **كافور الإخشيدي:** هو كافور ابن عبد اللّه الإخشيدي أبو الملك، كان عبدًا حبشيًا اشتراه الإخشيدي ملك مصر سنة **312هـ/ 924م**، بـ18 دينارًا فنسبه إليه، ثمّ اعتقله فتربي عنده حتى تغلب على مصر، وكان فطنًا ذكيًا حسن السياسة، ودعى له على المنابر بمكة ومصر والشام، إلى أن توفي سنة (**357هـ/ 967م**)، بالقاهرة، ينظر: ابن خلكان، مصدر سابق، ج4، ص99، ابن تغري البردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب للطباعة، مصر، (د.س)، ج4، ص1.

(4)- القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1914، ج5، ص349، ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص309.

(5)- محمد جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.س)، ص63.

وكان من بينهم **يعقوب بن كلس**[1] الذّي بقيّ مُعتقلاً إلى أن هرب إلى بلاد المغرب، واتصل بالمعز وأبان له حالة الضعف الذّي ساد مصر اثر وفاة كافور وحثه على فتحها.[2]

وعلى العموم فقد نجح جوهر الصقلي في فتح مصر بعد عدة محاولات انتهت بنجاح كاسح لصالح الفاطميين، وأصبحت القاهرة التّي أسسها الفاطميون مقر القيادة العليا للدعوة الإسماعيلية، وأُقيمت فيها معاهد خاصة بتعليم الفكر الشيعي ونشره.[3]

وعندما أراد المعز لدين اللّه الفاطمي سنة **361هـ/ 971م** الرحيل إلى مصر عمل على إبقاء النفوذ الفاطمي في بلاد المغرب، مع أنّه كان يُدرك أنّ استمراره لن يدوم طويلاً لمعرفته بشدة البربر وطبيعتهم الثورية[4]، فقد حث الخطر الذّي أصبح يُمثل غدر بعض القبائل البربر من تمردات هاجس الفاطميين، لذلك فقد كانوا حريصين على إبقاء هيبة الدولة الفاطمية حتى بعد رحيلهم، ولا شك في أنّ الرحيل النهائي قد تقرر منذ أن فتح جوهر الصقلي مصر، وأيضا بعد المهمة التّي كلّف بها الوزير جوذر، وهي التوجه نحو المهدية لجمه ما بالخزائن من أموال والتوجه نحو المشرق[5]، وبالفعل هذا ما حدث في الفترة اللاحقة.

إنّ اختيار نائب قادر على حكم إفريقية ومؤهل لعدم الإخلال بواجب الوفاء للأسرة الفاطمية، قد طغى على تفكير الخليفة المعز هذه الفترة، وكان جوذر مؤهلاً لتولي هذا المنصب[6]، وعندما

---

(1)- **يعقوب بن كلس:** ابن يوسف ابن إبراهيم ابن هارون ابن داود البغدادي، الذّي كان يهوديًا فأسلم، وكان داهية ماكرًا فطنًا، وسياسيًا من رجال العلم، فلما رأى منه صاحب مصر كافور فطنته وخبرته في الأمور طمع هو في الرقي فأسلم يوم الجمعة، وفرّ إلى بلاد المغرب، وعاد مع المعز الفاطمي، ثمّ رجع في صحبته إلى مصر، وقد عظم أمره، ولما ولي العزيز سنة خمس وستين استوزره، فاستمر في رفقته إلى أن مات سنة ثمانين وثلاث مئة، ينظر: الذهبي، مصدر سابق، ج16، صص442، 443.

(2)- بن زاوي طارق: مرجع سابق، ص54.

(3)- عبد الرؤوف جرار: سقوط الدولة الفاطمية في المغرب ونبذ التشيع، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع20، 2010، ص120، مبارك الميلي، مرجع سابق، ص648.

(4)- السيد عبد العزيز سالم: مرجع سابق، ص550.

(5)- فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص399.

(6)- محمد سهيل طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام، دار النفائس، ط2، بيروت، 2007، ص214.

وصلت هذه الأنباء إلى مسامع جوذر كتب إلى الخليفة يرفض ذلك قائلاً: << **ولمّا خاض النّاس أكثروا القول بأنّي المستخلف على إفريقية، فأقرّ لك بأنّني أرغب في أن لا أُفارقك** >>[1]، فأجابه المعز موضحًا عن نواياه الحقيقية ليطمئنه ويُبدد مخاوفه بأنّه يستبعد ذلك.[2]

وما يطرح هنا بعض الإستفهامات هو: لماذا الخليفة المعز استبعد جوذر بالرغم من أنّه ذو حنكة سياسية عظيمة؟ ووفاء الفاطميين شديد إلى أبعد حدود؟ ودليل تلك الخدمات التّي قدمها لصالح العبيديين من زمن المنصور إلى زمن المعز.

ما يُفسر ذلك أنّ المعز استبعد اختيار الصقلي حتى ولو كان يستغل منصبًا رفيعًا في الدولة، على الرغم من إخلاص **الصقالبة**[3]،وتفانيهم في خدمة الدولة، ذلك أنّ هذه العلاقة التّي تربط هؤلاء بالفاطميين كانت تجبرهم على العيش داخل القصور بعيدًا عن أهل البلاد الذّين كانوا غرباء عنهم[4]، بالإضافة إلى أنّه من غير المتوقع أن يلقى هؤلاء التأييد من جانب العرب والبربر خاصة الكتاميين والصنهاجيين الذّين يرتكز عليهم النظام القائم في الدولة.

أخذ المُعز لدين اللّه يُفكر بمن يخلفه في بلاد المغرب، ويكفيه هم زناتة، وكانت كتامة صادقة التشيع؛ لكنّها غير مجاورة لزناتة وكثيرًا من أبطالها قتلوا أثناء تأسيس الدولة.[5]

(1)- المنصور الجوذري: مصدر سابق، ص109.

(2)- فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص399.

(3)-**الصقالبة**: يأتي ذكرهم أحيانًا على أنّهم مرادفون للخصيان أو العبيد البيض، فعرفوا أكثر في الأندلس، وبرزوا الصقالبة خلال حكم الفاطميين في بلاد المغرب، فقد شكل منها الفاطميون جيشًا نظاميًا ضخمًا، لتقوية وتدعيم قواتهم المتكونة من الكتاميين بقوى أخرى، إضافة إلى ذكائهم وأخلاقهم وشجاعتهم وقوتهم، ودليل ذلك ما فعلوه عند فتح مصر تحت قيادة جوهر الصقلي، ينظر: ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق،ج2، ص164، الداعي إدريس، مصدر سابق، ص253، عبادة كحيل، تاريخ النصارى في الأندلس، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، 1993، ص25.

(4)- محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص214.

(5)- نفسه.

يذكر المؤرخون[1] أنّ المعز استدعى قبل رحيله جعفر ابن علي ابن حمدون الأندلسي صاحب المسيلة، وأقر إليه بأنّه يريد أن يستخلفه على المغرب، وأن يتولى أمور إفريقية على أن يكون تابعًا للفاطميين[2]، وكان جعفر من الأسر الأندلسية المهاجرة إلى بلاد المغرب، وبالتالي ليس له عصبية هناك تساعده على الانفصال إذا ما حدثته نفسه بذلك يومًا من الأيام[3]، لكن جعفر اشترط لقبول هذا المنصب شروطًا تجعله شبه مستقل عن مصر فيقول للمعز: << **تترك معي أحد أولادك أو أحد إخواتك جالسًا في القصر، وأن أدبر وأعمل وكأنّني أُطالع من يأمرني ليتم أمري ولا تسألني عن شيء من الأموال إذا كان ما أجبيه بإزاء ما أنفقه...وإذا أردت أمرًا فعلته دون أن إنتظر ورود أمرك فيه، ولبعد ما بين مصر والمغرب، يكون تقليد القضاء والخراج وغيره من قبل نفسي**>> [4]، فرفض المعز تلك الشروط ورأى فيها بوادر انفصال ولاية إفريقية والمغرب عن الفاطميين، والاستقلال بهذه البلاد، وهذا ما يتعارض مع السياسة الفاطمية العامة[5]، فأجابه برد غاضب قائلاً: << **يا جعفر عزلتني عن ملكي وأردت أن تجعل لي شريكًا في أمري واستبددت بالأموال والأعمال دوني، قم فقد أخطأت حظك وما أصبت رشدك**>> [6]، وخرج من عنده.

كان رد فعل جعفر ينطوي على تطلع ونزوع نحو الانفراد في الحكم، تاركا للخليفة الفاطمي هامشًا من النفوذ المعنوي، وما استشعره الخليفة برده أنّه يريد عزله عن ملكه، ولا ندري أي مبرر جعل جعفر يتعجل بالإفصاح عن تطلعات ولم يكتمها، أو على الأقل يُؤجلها إلى أن يحين الأوان، رُبما كان مدفوعًا بشعور أحقيته دون غيره بهذا الامتياز، لما له وعائلته من فضل في قيام هذه

(1)- المنصور الجوذري: مصدر سابق، ص109، المقريزي، اتعاظ ...، ج1، ص175، ابن حماد الصنهاجي، مصدر سابق، ص49.

(2)- حسن حضيري أحمد: مرجع سابق، ص49.

(3)- عبد الرؤوف جرار: مرجع سابق، ص121.

(4)- المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج1، ص175.

(5)- جاسم عثمان مرغي: الشيعة في شمال إفريقيا من موسوعة الشيعة في العالم، مؤسسة البلاغ للنشر والتوزيع، دمشق، 2004، ص372، محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص214.

(6)- المقريزي: اتعاظ ...، ج1، ص176.

الدولة[1]، لكن كان على جعفر ابن علي ابن حمدون أن يُدرك مسبقًا أنّ الخليفة لا يُمكنه القبول بهذا النزوع الساخر، فهو يغض النظر عن دوره ومكانه، ولا يُعدّ بنظر الخليفة سوى تابعًا وليس حليفًا أو شريكًا[2]، وقد أبانت هذه المقابلة قصور المنظور السياسي لجعفر ابن علي في كيفية التعامل مع مستجدات الأحداث وصولاً إلى تحقيق أهدافه، فجاء رد فعل المعز الفاطمي مُخيبا لآمال ربما داعبت مخيلة بني حمدون من أن يتصدروا الأمور في هكذا موقف، وذلك جزاء ولائهم وخدمتهم، بمّا أحدث قطيعة لإبقاء الخلافة الفاطمية بعدها، وهذا الأخير أوجب التفكير في خيارات بديلة[3]، واستبعد المعز الفاطمي جعفر ابن علي من الخيارات.

بعث المعز إلى بلكين ابن زيري وكان متوغلاً في المغرب بين حروب زناتة، وكان بلكين عظيم قبيلة زناتة بعد أبيه زيري[4]، ولمّا جاءه قال له: << **تأهب لخلافة المغرب**>>، فاستعظم بلكين ذلك وقال:<< **أنت وآباؤك الأئمة من ولد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، وما صفا لكم المغرب، فكيف يصفوا لي وأنا صنهاجي بوبري؟ قتلتني يا مولاي بغير سيف ولا رمح**>> [5]، فلم يزل به المعز حتى قال:<< **بشرط أن يولى المعز القضاء والخراج لمن يراه مناسبًا لذلك**>>.[6]

استحسن المعز الفاطمي ما قاله بلكين وأثنى عليه، فولاه أمر إفريقية والمغرب باستثناء

(1)- نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص128.

(2)- المرجع نفسه: ص129.

(3)- نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص129.

(4)- ابن حماد الصنهاجي: مصدر سابق، ص49.

(5)- المقريزي: اتعاظ ...، ج1، ص176.

(6)- عبد الرؤوف جرار: مرجع سابق، ص121، نور الدين سعودي، مرجع سابق، ص235.

صقلية[1] وطرابلس **وإجدابية**[2] **وسرت**[3]، وجعل على جباية الأموال زيادة اللّه ابن القديم، وعلى الخراج عبد الجبار الخرساني وحسين ابن خلف الموصدي، وأمرهم بالانقياد إلى بلكين ابن زيري، وكتب إلى عماله بذلك، وأمرهم أن يُطيعوه ولا يعصوا له أمر[4]، فلما انصرف قال له عم أبيه أبو طالب أحمد ابن عبد اللّه المهدي: << **يا مولانا، وتثق بهذا القول من يوسف بأنّه يفي بما ذكره**>>[5]، فقال المعز: << **يا عمنا كم بين قول يوسف وقول جعفر، واعلم ياعم أنّ الأمر الذّي طلبه جعفر ابتداءًا هو آخر ما يصير إليه أمر بلكين، فإذا تطاولت المدة سينفرد بالأمر، ولكن هذا أولاً أحسن وأجود عندي ونهاية ما يفعله من ترك دياره**>>.[6]

ثمّ أنزل بلكين القيروان فأعطاه المعز الفاطمي اسمًا عربيًا إسلاميًا فسماه يوسف وكنّاه (أبو الفتح)، ولُقب بسيف العزيز باللّه، وكان المعز يثق بآل زيري لِما أبدوه من طاعة وإخلاص للفاطميين، ولِمَا لديهم من مهارة سياسية وقدرة على تحمل المشكلات[7]، بالإضافة إلى أنّهم ينتمون إلى قبيلة صنهاجة، وهو أعظم قبائل البربر، ووقف أفرادها إلى جانب كتامة من أجل التصدي لقبائل زناتة الموالية للأمويين[8]، وقبل أن يفترق المعز وبلكين أعطى المعز لبلكين نصيحة تناولها جل المؤرخين وقال له فيها: << **إن نسيت ما أوصيتك به فلا تنسى ثلاث أشياء،**

---

(1)- **صقلية:** جزيرة على شكل مثلث متساوي الساقين زاويته الحادة من غربي الجزيرة، طولها سبعة أيام في أربعة أيام، وهي في شرقي الأندلس في لج البحر، تحاذيها من بلاد المغرب بلاد إفريقية وباجة وطبرقة إلى مرسى الخرز، والغالب عليها الجبال والقلاع والحصون، وأكثر أرضها مزروعة، وليس لها مدينة متهورة غير مدينة بلرم قصبة، ينظر: ابن حوقل، مصدر سابق، ص118.

(2)- **إجدابية:** مدينة كبيرة على صحصاح من حجر مستواه، بناؤها بالطين والآجر وبعضها بالحجارة، لها جامع نظيف ويطوف بها من أحياء البربر خلق كثير، وأكثر ما يخرج منها الأكسبة المقاربة وشفة الصوف، تقع بين برقة وطرابلس بينها وبين زويلة شهرًا سيرًا، فتحها عمر ابن العاص، ينظر: ابن حوقل، مصدر سابق، ص67، الحموي، مصدر سابق، ج1، ص101.

(3)-**سرت:** تقع على ساحل البحر الرومي المالح، تبعد عن إجدابية بخمس مراحل مرحلة منها إلى ديار لواتة، ويقطنها قوم من مزاتة وهم الغالبون عليها، وأهل مدينة سرت أيضا منداسة وفنطاس وغيرهم، ينظر: اليعقوبي، البلدان، تح محمد أمين صناوي، دار الكتب العلمية، لبنان، (د. س)، ص182.

(4)- ابن الأثير: مصدر سابق، ج7، ص64، ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ج1، ص228.

(5)- المقريزي: اتعاظ ...، ج1، ص157.

(6)- المصدر نفسه: ص158.

(7)- ابن الخطيب: تاريخ المغرب...، ص65.

(8)- حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص250.

إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية، والسيف عن البربر، ولا تولى أحدًا من إخوتك أو بني عمك فإنّهم يرون أنّهم أحق بهذا الأمر منك، فافعل مع أهل الحضر خيرًا>> [1]، فامتثل بلكين بالوصية، وكما وصى بذلك ولده فيما بعد.

وقد قدّم المعز الفاطمي إلى بلكين خلعة الخلافة، وألبسه ثيابًا فاخرة وأهدى إليه أحسن ما عنده من الخيول المسرجة وعهد إليه بقيادة الجيش وجمع الضرائب[2]، ويرى صاحب كتاب مفاخر البربر أنّه قد أعطاه خاتمه بقوله: **<< وجعل خاتمهُ في يده>>** [3]، ومنذ ذلك الحين أصبحت الرسائل الصادرة عن بلكين تستهل بالعبارة التالية: **<< من عبد اللّه أبي الفتوح يوسف ابن زيري خليفة أمير المؤمنين>>**.[4]

وصحب بلكين المعز إلى لأن وصل إلى مدينة **قابس**[5]، وفي حدود هذه المرحلة الأخيرة الواقعة في جنوب إفريقية والمتاخمة للمناطق الصحراوية الممتدة الأطراف في طرابلس **وفزان**[6]، **وودع بلكين الخليفة وكان ذلك يوم الخميس 11 ربيع الأول 361هـ/ 972م**، ورجع إلى المنصورية[7]، أمّا المعز فقد كان آخر الحكام الفاطميين في بلاد إفريقية، فقد واصل رحلته في اتجاه مقر خلافته الجديد، ونحو مصير جديد؛ حيث ستبدأ اعتبارًا من ذلك الحين مرحلة أخرى من

(1)– الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، ج1، ص78، ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ج2، ص263، رابح بونار، مرجع سابق، ص190.

(2)– الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، ج1، ص79.

(3)– مجهول: مفاخر البربر، تح عبد القادر بوباية، دارأبي قراق للطباعة، الرباط، 2005، ص13.

(4)– رشيد بورويبة: بلقين ابن زيري، مجلة الأصالة، ع8، جوان 1972، ص24.

(5)– **قابس:** مدينة بين طرابلس وسفاقس، ثمّ المهدية على ساحل البحر، فيها نخل وبساتين غربي طرابلس الغرب، بينها وبين طرابلس ثمانية مراحل وهي ذات مياه جارية من أعمال إفريقية في الإقليم الرابع، وكان فتحها مع القيروان سنة 27هـ، وهي مدينة جليلة مصورة الجليل من البنيان الأول، ينظر: الحموي، مصدر سابق، ج4، ص289.

(6)– **فزان:** ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب، وهو في الإقليم الأول عرضه إحدى وعشرون درج، قيل سُميت بفزان ابن حام ابن نوح عليه السلام، بها نخل كثير، ومدينتها زويلة السودان، والغالب على ألوان أهلها السواد، ينظر: الحموي، مصدر سابق، ج4، ص260.

(7)– ابن الكردبوس: الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تح صالح بن عبد اللّه الغامدي، مكتبة الملك فهد أوطنبة، المدينة المنورة، 2008، ص30، الداعي إدريس: مصدر سابق، صص174، 175، ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص63.

مراحل مغامرة الفاطميين، وبعدما طويت وتكاد تُطوى الصفحة الإفريقية من تاريخهم[1]، ذلك أنّ حلفاء الفاطميين من البربر الزيريين هم الذّين سيقومون مقام أصحاب إفريقية السابقين، أولاً في ظل الراية الفاطمية، ثمّ في إطار الإمارة المستقلة التّي يُؤسسونها لحسابهم الخاص، مع الإشارة إلى أنّ المعز الفاطمي عند رحيله إلى مصر أخذ معه الذخائر والأموال وسبائك الدنانير، وكذلك توالت آباؤه وأجداده فيما يعني عدم التفكير نهائيًا في العودة إلى تلك البلاد التّي لقيت فيها أسرته العديد من المشاكل حتى شرُفت على الهلاك[2]، وبطبيعة الحال هذه المشاكل نقصد بها أولاً تمردات قبائل البربر، وثانيًا الصراع الكبير الذّي كان مع قبائل زناتة.

المبحث الثاني: الصراع بين جعفر ابن علي وزيري ابن مناد

على الرغم من الجهود الكبيرة التّي قامت بها الدولة الفاطمية في بلاد المغرب من أجل القضاء على القلاقل والفتن الداخلية، وذلك بطبيعة الحال بجهود أسرة بني حمدون في المغرب الأوسط، وفي مدينة المسيلة، إلاّ أنّهم لم يتمكنوا من القضاء عليها نهائيًا.

ونتيجة لهذه الظروف الصعبة فكرت الخلافة الفاطمية في إنشاء قاعدة ثابتة بالمغرب الأوسط، وتعتمد على عصبية قوية بإمكانها الوقوف الند بالند أمام زناتة، لوم تلبث حتى أُتيحت لها الفرصة بهد انضمام صنهاجة لصفوفها[3]، وهكذا أضحت قبيلة صنهاجة البربرية الركيزة الأساسية لنظام العبيدي، إلى جانب كتامة وبعض من الأسر المخلصة الأخرى[4]، وأيضا ما زاد مكانة زيري بن

(1)– فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص406.

(2)– سعد زغلول عبد الحميد: مرجع سابق، ص406.

(3)– نجيب زبيب: الموسوعة العامة لتارخ المغرب والأندلس، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، 1995، ج2، ص200، رضا بن النية، مرجع سابق، ص100.

(4)– فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص401.

مناد لدى الفاطميين هو انتصاره الكاسح على قبيلة بني خزر بقيادة زعيمهم **يعلى اليفرني**[1]، وخرب كلّ من جوهر الصقلي وزيري ابن مناد قبيلتهم[2].

خلال كلّ هذه الأحداث التّي كانت فيها مكانة زيري ابن مناد ترتفع لدى الفاطميين، وكانت مكانة جعفر في تراجع، وكان يشعر بغيض شديد كلّما ازداد جاره صاحب أشير نُفوذًا ومجدًا[3]، وبسبب المكانة التّي كان يسعى إليها كل من الطرفين لدى الخلافة الفاطمية، زادت حدة الصراع بينهما، وقد زاد الانتصار الذّي أحرزه بكين منذ عهد قريب في تقوية نفوذ زيري ابن مناد الذّي ما فتء يُطارد الزناتيين حتى ضواحي المسيلة، ولم يرض عن هذه التدخلات الصنهاجية جعفر ابن علي[4] والي الزاب كلّه في ذلك الحين[5]. وممّا هيأ للعداوة أن تتوسع بين جعفر وزيري وتشتد وتتحول في النهاية إلى مواجهة عسكرية وتمرد على الدولة الفاطمية، هو ما عزم عليه المعز الفاطمي بعد رحيله إلى مصر، وهو أن يُنيبَه على بلاد المغرب زيري ابن مناد[6]، وهذا الأمر زاد من شدة الصراع والتنافس بين عاملي المسيلة وأشير[7] هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لم يكن المُعز الفاطمي راضيًا على تصرفات جعفر الذّي لم يكن مجبورًا بوصفه واليًا ذا سلطة مطلقة على دفع مبلغ معين لبيت المال[8]، وفي هذا الإطار نصحه أستاذه ومربيه جوذر بقبول الاقتراحات

(1)- **يعلى اليفرني:** ولاه الناصر على مدينة طنجة وأحوازها، وكان ذلك سنة 347هـ/ 958م، وكان متمسكًا بدعوة بني أمية في المغرب، ووسع ولايته لتشمل تاهرت والمسيلة والبصرة وتلمسان، وعلى ساحل المغرب الأوسط، ينظر: ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي، ص165، ابن أبي زرع الفاسي، مصدر سابق، ص88.

(2)- المهدي بوعبدلي: تاريخ المدن، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، دار المعرفة للطباعة، الجزائر، 2013، ص408، السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، (د.س)، (د.ب)، ج1، ص86.

(3)- ابن خلدون: مصدر سابق، ج4، ص107، ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص74، فرحات الدشراوي، مرجع سابق، ص353.

(4)- الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، ج1، ص64، أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص26.

(5)- ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، تح عبد اللّه مخلص، خزانة الكتب، بيت المقدس، (د.س)، ج1، ص31.

(6)- ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص205.

(7)- الهادين روجي إدريس: مرجع سابق، ج1، ص64، المهدي بوعبدلي، مرجع سابق، ص409.

(8)- الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، ج1، ص66.

بإقطاع ضرائب المسيلة والزاب لفائدة الخلافة الفاطمية[1]، وهذا يعني حرمان جعفر من صلاحيته، وأن يكتفي بمرتب سنوي ثابت[2]، فكتب جعفر إلى الخليفة يُوضح له أنّ من نقل إليه خبر استيلاء واستحواذ جعفر على أموال بيت المال، إنّما نقلها بدافع الغيرة والوشاية، حيث يقول صاحب الكتاب الأستاذ جوذر ما يلي: << ...**ووصف جعفر في كتابه إنّما المتكلم في ذلك، إنّا يتكلم من عين الحسن والغيرة، وأنّ البلد لا يفي بما ذكر...** >> [3]، ورُبما يقصد هنا بكلامه زيري ابن مناد، كل هذه الضغوطات أدت بجعفر ابن علي للحقد على زيري ابن مناد، وعلى المعز الفاطمي في آن واحد، وهذا يُؤكده فرحات الدشراوي على أنّ جوذر قد لمح إلى أنّ جعفر لم يكن يُخفي فتور مشاعره، بل رُبّما شيء من الحق اتجاه المعز[4]، وهذا ظهر خاصة بعدما بدأ زيري ابن مناد بالتدخل في شؤون إقليم الزاب.

بعد كل هذه المناوشات اضطر المعز الفاطمي إلى عقد اجتماع بين هذين الزعيمين، وحاول فيه إصلاح ذات البين بينهما[5]، وبالفعل فقد تمّ عقد اجتماع في منطقة تُسمى باب الطاهر في منطقة الأوراس[6]، وللإشارة فإنّ هذه المنطقة لم تذكرها المصادر الأخرى، إلاّ الأستاذ جوذر في كتابه، وذكر اسم المنطقة ولم يذكر لنا تاريخ هذه الجلسة.

الملاحظ هنا أنّ الاجتماع عُق بين جعفر ابن حمدون وبلكين ابن زيري ابن مناد دون أبيه، ولعل السبب في غياب زيري عن الجلسة يعود إلى أنّ ابنه كان هو المُكلّف بقيادة جيش الولاية والقيام بحملات عسكرية لإخماد الثورات بمنطقته ومطاردته لزناتة وقتالهم[7]، ومن المحتمل أنّه تعدى حدود ولايته ودخل في ولاية الزاب، وهو ما أغضب جعفر ابن علي، ونظرًا لأهمية هذه

(1)- المنصور الجوذري: مصدر سابق، ص129، 130.
(2)- الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، ص66.
(3)- المنصور الجوذري: مصدر سابق، ص141.
(4)- فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص353، مبارك الميلي، مرجع سابق، ص648.
(5)- المهدي بوعبدلي: مرجع سابق، ص409.
(6)- المنصور الجوذري: مصدر سابق، ص100.
(7)- ابن حيان: مصدر سابق، ص37.

الجلسة الصاخبة جعلها المعز سرية، أي بدون حضور شهود، وطلب من جوذر الحضور لكنّه اعتذر لأسباب لم تصفح عنها المصادر. وعلى العموم فقد انتهى الاجتماع ونجح المعز في فض النّزاع بين الطرفين[1]، لكن لم يدم ويلاً فسرعان ما عاد الطرفان للصراع[2].

والجدير بالذكر هنا أنّ المعز قد أجاب على رسالة أعرب فيها جوذر عن سروره بتصالح الطرفين مُشيرًا إلى ما كان عليه أن يتحلى به من رباطة جأش لتحمل تجاوزاتهما[3]، فردّ عليه المعز بأن يوصي أو يطلب من جعفر الوفاء بتعهداته وطاعة الإمام[4] في نص مفاده << ويجب عليك أن تؤكد على جعفر في مراعاة نفسه، وأخذها بما يجب لنا عليه من امتثال أمرنا[5]>>.

وإذا عدنا إلى حيثيات هذا الصراع ودراسة موازين القوى بين الطرفين يُلاحظ أنّ زيري استطاع أن يتفوق على جعفر ابن علي في التقرب من الفاطميين، ويبرهن لهم على أنّه الشخصية المناسبة لإبقاء المغرب تحت سيطرته، وضرورة دعمه في حكمه للمغرب، حتى يقف سدًا ضيقا أما تحركات زناتة[6]، خاصة بعدما أظهر مقدرته وحنكته السياسية في فتح مدينة فاس، والوقوف إلى جانب جوهر الصقلي في حملاته المختلفة نحو الشرق والغرب[7]، وبالأخص محاربته للزناتيين بالمغرب ، ودفع خطرهم، وقد كافأ المعز الفاطمي هذا بأن منحه المناطق الواسعة إلى حدود الزاب، ويُمارس فيها سلطته[8].

(1)- المنصور الجوذري: مصدر سابق، ص101.

(2)- رشيد بوروبية: مرجع سابق، ص22.

(3)- الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، ج1، ص67.

(4)- فرحات الدشرواي: مرجع سابق، ص334.

(5)- المنصور الجوذري: مصدر سابق، ص101.

(6)- نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص125.

(7)- عبد الرؤوف الفقي: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة النهضة، القاهرة، (د.س)، ص184.

(8)- ابن أبي دينار: مصدر سابق، ص74، ابن الأثير، مصدر سابق، ج7، ص333.

إنّ تفوق زيري ابن مناد على جعفر ابن علي راجع إلى عصبية القبيلة وكثرة أتباعه من صنهاجة[1]، وما يُمثله للفاطميين من قوة رادعة للزناتيين، أمّا جعفر ابن علي فليس له عصبية تحميه وتذود عن، وعن مبادئ الشيعة، وليس له وزن بين القبائل المغربية الثلاث؛ كتامة، وزناتة، وصنهاجة[2]، وبالتالي فقد عمل جعفر ابن علي على وضع خطة لتصفية خصمه، وإضعاف مكانته لدى الخليفة الفاطمي، فعمل على عقد بعض التحالفات السرية مع قبيلة زناتة، وكان يكشف لهم عورات ونقاط ضعف زيري، ويُحذر منه في حال عزم على الهجوم عليهم[3].

ومن خلال تتبعنا لمجريات هذه الأحداث، يُمكننا تلخيص أسباب الصراع في النقاط التالية:

- تدخل زيري ابن مناد المستمر في شؤون جعفر ابن علي بن حمدون وإيذائه في أعماله[4].
- التباين التام في سياسة الطرفين، ففي الوقت الذّي اعتمدت فيه صنهاجة على أسلوب القوة في تنفيذ مهامها وتحقيقي أغراضها، فضّل صاحب المسيلة أسلوب المهادنة في قضاء مآربه المختلفة[5]، ولعلّ ذلك مبرره كون زيري ابن مناد له عصبية كبيرة تدعمه، على عكس جعفر ابن علي الذّي كان يفتقد إلى ذلك[6].
- القرار الذّي اتخذه المُعز في ضم تيهرت إلى أملاك زيري ابن مناد أغضب كثيرًا منافسه جعفر ابن علي، وفي الوقت نفسه أثّر على علاقة هذا الأخير بالخليفة الفاطمي[7].
- ما قام به المعز عندما أمر ببناء دار ابن رباح بالقيروان المعروفة باسم دار الإمارة، وشاع آنذاك خبرُ مفاده أنّ المبنى أُعِدَّ لجعفر ابن علي الذّي سيُعيَّن واليًا على إفريقية، وفي حين

(1)- ابن خلدون: مصدر سابق، ص201.

(2)- عبد العزيز فيلالي: مرجع سابق، ص192.

(3)- ابن حيان: مصدر سابق، ص35، فرحات الدشراوي، مرجع سابق، ص355.

(4)- ابن خلكان: مصدر سابق، ج1، ص360.

(5)- رضا بن النية: مرجع سابق، ص100.

(6)- المنصور الجوذري: مصدر سابق، ص123، 124، عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص192.

(7)- ابن الأثير: مصدر سابق، ج8، ص334، فرحات الدشراوي، مرجع سابق، ص364.

ترجع ولاية بلاد المغرب بأسرها إلى زيري ابن مناد وابنه بلكين[1]، وهذا ما أغضب جعفر لأنّه كان يحلم أن يحكم بلاد المغرب برمتها.

وعلى العموم لم تكن العلاقات بين الطرفين وُدية، بل كانت سمتها التشاحن والحذر والعداء، حيث أنّ نجاحات زيري وتقريب الفاطميين له كانت من نتائجها البارزة إشعال نار العداوة بينه وبين جعفر ابن علي؛ حيث إنّ هذا الأخير كان يرى في زيري منافسا قويًا في تقريب الفاطميين له خطرا يُهدد مركزه[2].

هذه كل حيثيات الصراع الذّي نشب بين جعفر وزيري، أما النقطة التّي تطرقت إليها من قبل، والخاصة بالمعاهدات السرية التّي وقّعها جعفر مع الزناتيين، فقد كان لها وجهان؛ الوجه الأول هو ناح الغرض الأصلي للخطة، وهو إضعاف مكانة زيري وابنه بلكين لدى الفاطميين، أمّا الوجه الثاني فقد كان قطيعة جعفر للفاطميين بعد أن كشف أمر هذه التحالفات، وهو ما سأتناوله فيما هو آت من دراستي.

المبحث الثالث: لجوء بني حمدون لطاعة الأمويين بالأندلس

بعد كل هذه الأحداث والصراعات التّي نتجت عن تولية زيري ابن مناد على المنطقة من طرف المعز الفاطمي، والتّي كانت نتائجها وخيمة تمثلت في صراعات كبيرة قامت بين صنهاجة وكتامة من جهة، وبين زيري ابن مناد وجعفر ابن علي من جهة أخرى، وللتوضيح فإنّ الصراع الأوّل الذّي ذكرناه، وهو الصراع بين كتامة وصنهاجة، والذّي كان متعمدًا وسنوضح ذلك.

وعندما قرّر المعز الفاطمي الرحيل إلى مصر قام بتوزيع النفوذ بين صنهاجة وكتامة، التّي منحها ولاية طابلس، وبذلك زرع بذور الفتنة والتنافس بين القوى الكبرى بما لا يسهل اتفاقهما[(3)]،

(1)- ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص154، ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص72.

(2)- صالح بن قربة: مرجع سابق، ص34.

(3)- نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص131.

كما اقتطع من مساحة نفوذهم جزيرة صقلية، وأسندها لبني أبي الحسم الكلبي ليكون أسطولهم أداة طيعة في يد الفاطميين، ويهددون به زيري متى شاءوا وفي حالة قرّر الانفصال، وهكذا يكون المعز الفاطمي قد عمل قدر استطاعته على الحد من شوكة صنهاجة حتى لا تستطيع الاستقلال ببلاد المغرب[1]، هذا الجانب الأوّل من الصراع، أمّا الجانب الثاني وهو الصراع بين جعفر ابن علي وزيري ابن مناد، والذّي تناولت حيثياته فيما سق من دراستي، فإنّ نتائجه قد تجلت في القطيعة النهائية لأسرة بني حمدون، التّي يُمثلها جعفر ويحي، وإعلان ولائهما للأمويين، والسؤال المطروح هنا هو: لماذا أعلن جعفر ويحي ولاءهما للخليفة الأموي، وتخليَا عن أسيادهم الفواطم، بعد أن أصبحوا أمراء مدينة المسيلة، وزعماء إقليم الزاب كلّه.

إنّ الضغط على بني حمدون دفعهم إلى إقامة تحالف وثيق مع قبيلة زناتة، وكانت في ذلك الحين حليفة الأمويين القوية[2]، وبطبيعة الحال فإنّ تحالف جعفر ابن علي وأخوه يحي مع قبيلة زناتة سيتبعه ربط العلاقة مع أسيادهم من بني أمية، والذّين بدورهم استغلوا هذا النزاع بين عاملي المسيلة، وأُشير لفائدتهم، فقاموا بالتواصل مع جعفر ابن علي وعقد تحالف معه، رُبّما عن طريق حلفائهم الزناتيين، أو مباشرة عن طريق أعوانهم وجواسيسهم[3] في المنطقة بإمارة بني حمدون[4].

حيث أكّد كل من الشاعر ابن هاني الذّي أقام مدة من الزمن في بلاد المسيلة، والحاجب جوذر في وجود بعض الأعوان الأمويين بعاصمة الزاب، إذ كان بها رجل يُقال له عثمان ابن

(1)- عبد العزيز فيلالي: مرجع سابق، ص193.

(2)- ابن حيان: مصدر سابق، ص35.

(3)- اتبع حكام بلاد المغرب كثيرًا هذه السياسة، فقد كانوا يعملون على زرع جواسيس تأتي لهم بأخبار أعدائهم خاصة الفاطميين، الذّين اعتمدوا على هذه السياسة بشكل كبير، وسموا هؤلاء الأشخاص بأصحاب الخبر والعيون، لدرجة أنّهم استحدثوا ديوانًا عُرف بديوان الكشف، وكان عمله يعتمد على الأخبار التّي ترد إليه من العيون التّي كانت مهمتها رصد الأخبار، ينظر: يمنى رمضان، أصحاب الخبر والعيون في العصر الفاطمي **(297- 567هـ/ 909- 1171م)**، ص2، يسرى عبد اللّه زيدان، المصادر التاريخية الشيعية للفاطميين بالمغرب **(296- 362هـ/ 909- 972م)** دراسة تحليلية نقدية، دار العلوم، القاهرة، (د.س)، ص24.

(4)- المنصور الجوذري: مصدر سابق، ص123، فرحات الدشراوي، مرجع سابق، ص354.

أمين، وكان يُكاتب الخلفية الأموي، وكان جعفر ابن علي على دراية بذلك[1]، كما كان هذا الأخير يرعى أحد أفراد حاشيته المدعوا ابن رماحة؛ حيث[2] يقول حوذر في ذلك: << **فلا يفق له في حاجة ويُعنى بأسبابه ورباعه وأملاكه العناية الوكيدة**>>[3]، وكاتبه الوهراني الذّي اتهمه ابن هاني الأندلسي بميله إلى الأمويين، وكراهيته للمذهب الاسماعيلي، وربّما قد تمت الاستفادة أيضا من نفوذ أبي القاسم الغساني ومحمد ابن مهني البجائي بوصفهما صهري جعفر ابن علي[4].

ويبدوا أنّ الخطة التّي اتبعها جعفر في إزاحته لخصمه وإضعافه ليكون هو المرشح الوحيد لخلافة المغرب[5]، والتّي تمثلت في تحالفه مع خصوم الفاطميين والانضمام إلى الحلف الأموي الزناتي وسبق في تلك الشكاوي والتحذيرات التّي كانت تأتيه من خليفته المُعز لدين اللّه؛ حيث إنّ والي المسيلة كان يتجاوز سلطاته ولا يدفع لخزينة الدولة إلاّ قسطًا زهيدًا من المداخيل التّي يتحصل عليها[6]، وقد نصح جوذر المعز بأن يعزله عن منصبه، لكن المعز قرّر التأني عن ذلك بسبب ما قدمته أسرة بني حمدون من خدمات في فترات سابقة، حيث يقول جوذر في كتابه: <<**فلا يدع عليه عجة نسأله عنها، ونطلبه بها في تقصير وتفريط، ولا يجعل سلم والده الذّي ارتقى به إلى رضانا وأبقاه له بعده سلمه هو إلى الانحطاط**>>[7]، كما أنّ الأموال التّي ينقصها جعفر على الخزينة كان ينفقها على حلفائه الجدد من زناتة[8]، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد كان والي المسيلة جعفر ابن علي يُبدي تعاطفه مع الزناتيين عوض مساندته للصنهاجيين، كما فرض عليه

(1)- المنصور الجوذري: مصدر سابق، ص 123.
(2)- فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص354.
(3)- المنصور الجوذري: مصدر سابق، صص123، 124.
(4)- ابن حيان: مصدر سابق، ص33.
(5)- عبد العزيزز فيلالي: مرجع سابق، ص193.
(6)- فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص354.
(7)- المنصور الجوذري: مصدر سابق، ص141.
(8)- نور الدين مصمودي: مرجع سابق، ص235.

لواجب، لذلك هو يُحافظ على علاقات حسن الجوار مع **محمد ابن الحيز**[1]، الذّي كان أمير زناتة في ذلك الوقت[2]، وهذا ما تجلى في امتناعه عن مد يد المساعدة لبلكين ابن زيري أثناء حملته التّي قام بها على قطاعات زناتة[3]، وهنا بدأ الشك يُراود المعز الفاطمي في ولاء جعفر للفاطميين، لكن هناك أحداث أخرى أكّدت هذا الشك للمعز، وتمثلت في:

أنّ زيري ابن مناد كشف هذه التحالفات إذ اطلع على محتوى هذه الرسائل، التّي كان جعفر يرسلها إلى أمير زناتة محمد ابن الحيز[4]، تتضمن معلومات عن تحركات زيري ومواطن ضعفه[5]، فقام زيري بإرسال هذه الدولة إلى المعز الفاطمي إثباتًا لخيانة جعفر لأسياده الفواطم[6]، ووصلت الأمور إلى القطيعة عندما عثر زيري على دليل آخر في إحدى معاركه ضد الزناتيين، وتمكن من القضاء على أميرها محمد ابن الحيز[7]، ووجد عنده الفرس التّي أهداها المعز الفاطمي لعامله جعفر الذّي أهداها بدوره إلى أمير زناتة[8]، وفي هذا يقول ابن حيان: << **فقتل زيري ابن مناد محمد ابن الحيز أمير زناتة، والقائم بدعوة بني أمية ملوك الأندلس عدوه، وأخذ له فرسًا من عتاق الخيل، كان أمامه...وقد حمل عليه جعفر ابن حمدون وأهداه إلى محمد ابن الحيز**>>[9]، فأرسل زيري ابن مناد هذه الفرس إلى المعز لدين اللّه، وهنا تأكّد هذا الأخير بخيانة

(1)- **محمد ابن الخير**: من دعاة بني أميّة في الشمال الإفريقي، حارب مع جعفر ضد زيري الصنهاجي، لكن يوسف حارب محمد ابن الحيز وهزمه، وقتل مجموعة من أصحابه، فلمّا أيقن أنّ عدوه قد أحاط به اتكأ على سيفه، فذبح به نفسه أنفة من أن يملكه بلكين، ينظر: ابن حيان، مصدر سابق، الإحالة رقم 4، ص35، ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ج2، ص343.

(2)- فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص355.

(3)- رشيد بورويبة: بلقين ابن زيري، مرجع سابق، ص32.

(4)- ابن حيان: مصدر سابق، ص35.

(5)- ابن حيان: المصدر نفسه، ص35، ابن الأبار، مصدر سابق، ج1، ص306.

(6)- فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص401، ابن حيان، مصدر سابق، ص35.

(7)- ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص205، نور الدين سعودي، مرجع سابق، ص236.

(8)- نور الدين سعودي: مرجع سابق، ص236.

(9)- ابن حيان: مصدر سابق، ص35.

جعفر وتحول ولائه إلى الزناتيين، فاستدعاه وماله وأهله إلى حضرته[1]، ليس هذا فقط فعندما أمره بالمثول إليه تكلم في جعفر أسوأ الكلام وتهدده بالقتل[2].

ويبدوا أنّ رأيه تغيّر تمامًا في أخيه من الرضاعة ورفيق صباه في قصر الخلافة بالمهدية، فإنّ موقف الخليفة تغيّر بعد كلّ هذه الأحداث[3]، ونص الرسالة التّي بعثها المعز لجعفر كان كالآتي: <<**أعظم اللّه أجرك في خليلك، فقد أجاد قتالنا على الفرس التّي كنّا حملناك عليه، وأثرناك به على أنفسنا**>>[4]، والمُلاحظ هنا أنّ الخلافة كان يستهزئ بجعفر من خلال أسلوبه في الرسالة، فليس من المتوقع أن يُعزي عدوه في شريكه الذّي هو في شريكه، الذّي هو في الأصل عدوه.

لم يكن متوقعا أن يُوّضح بنو حمدون لهذه الإرادة، لاسيما وأنّ الأمر لم يُباغتهم، فقد وصل الخبر قبل مبعوث الخليفة الفاطمي[5]، بواسطة الرسائل التّي جاءته من بعض عيونه عند المعز[6].

فغادر المسيلة حينما كان مبعوث المعز على بعد مرحلة[7] واحدة من تلك المدينة أي المسيلة[8]، مُظهرًا اللّحاق بالمنصورية، ثمّ مال بأهله وماله وعدد من عبيده ورجاله إلى جمع زناتة[9]، وكان معه أخوه يحي كذلك[10]، والتخلي عن إمارته مُعلنًا انفصاله عن الدولة الفاطمية، وبطبيعة الحال

(1)- حمدي عبد المنعم محمد حسين: دراسات في التاريخ الإسلامي دولة بني برزال في قرمونة (**404- 459هـ/ 1013-1067م**)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990، ص7.

(2)- ابن حيان: مصدر سابق، ص26.

(3)- الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، ج1، ص76، فرحات الدشراوي، مرجع سابق، ص 401.

(4)- حمدي عبد المنعم محمد حسين: مرجع سابق، ص7.

(5)- نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص131.

(6)- ابن حيان: مصدر سابق، ص36.

(7)- **المرحلة:** في المقاييس تُساوي مائة ميل بالهاشمي، وتُساوي بالمتر **99,750** متر، ينظر: محمد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار الشروق، بيروت، 1993، ص527.

(8)- الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، ج1، ص67.

(9)- مفاخر البربر: مصدر سابق، ص96، الداعي إدريس، مصدر سابق، ص730.

(10)- ابن حيان: مصدر سابق، ص36، ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ج2، ص243.

وجب على زناتة أن تحتضن حليفها المُطارد مدفوعة بعدة اعتبارات[1]، فلمّا وصل إليها استقبلوه أحسن إستقبال، وقدموه على أنفسهم[2]، ولمّ وصل هذا الخبر إلى زيري ابن مناد أثار هذا الخبر مخاوفه، ممّا جعله يتعجل في مواجهتهم[3]، فبادر بالخروج إلى جعفر وزحف إليه في عسكر عظيم من صنهاجة وغيرها، وكان ذلك في شهر رمضان، وزحف جعفر ابن علي بزناتة ورئيسها الحيز ابن محمد بن خزر، والذّي كان يرغب بالأخذ بثأر أبيه والانتقام له، والتقى الجيشان على مشارف **نهر ملوية**[4] بالمغرب الأقصى[5]، واقتتلوا قتالا شديدًا انتهى بموت زيري وبعض من زعمائه، وقد اتفق جل المؤرخين عن هذه النتيجة[6]، ونذكر من بينهم **ابن خلدون** الذّي يقول في ذلك: << **...وكان على زيري الدبرة وكبابة فرسه، وأحلت الهزيمة عن مصرعه ومصرع حاميته من قومه...**>> [7].

ولمّا تمت هزيمة صنهاجة بعث جعفر ابن علي أخاه ابن علي وبعض شيوخ قبائل زناتة، أمثال **عبدون ابن الحيز ابن محمد بن خزر، ومسعود بن عطية بن عبد اللّه بن خزر، وابن أبي**

(1)- هذه الاعتبارات أهمها أنّه شريك جديد وقوة عسكرية مُضافة في صف المعارضة للحكم الفاطمي، فضلاً على ما تفرضه القيم القلبية من حماية اللاجئين إليها، والأهم من ذلك أن لا تغلق الطريق أمام القوى الأخرى الموالية للفاطميين في حال ما أرادت لنفسها خيارًا آخر، ينظر: نهلة شهاب أحمد، مرجع سابق، ص132.

(2)- عبد العزيز فيلالي: مرجع سابق، ص194.

(3)- ابن أبي دينار: مصدر سابق، ص74.

(4)- **نهر ملوية:** وينبع فيما بين تلمسان ورباط تازا، ويصب في البحر المتوسط، وهو نهر لا ينقطع ماؤه صيفًا ولا شتاءً، ينظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006، ص261، محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم للنشر والتوزيع، ط2، الكويت، 1987، ص288.

(5)- ابن حيان: مصدر سابق، ص36، ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ج2، ص243.

(6)- ابن حيان: مصدر سابق، ص36، ابن الأبار، مصدر سابق، ج1، ص305، مفاخر البربر، مصر سابق، ص97.

(7)- ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص204.

العزيز خزر، رسلاً منه إلى **قرطبة**[1]، ويُؤكدون الطاعة باسمه ويُؤكدون البيعة ويلتمسون العون من الخليفة الأموي[2]، مصطحبين مهم رأس زيري ابن مناد ونحو مائة من رؤوس وجوه أصحابه[3].

وهكذا تأثر الزناتيون لمقتل زعيمهم ومن ما لقوه من مطاردة وتضييق من الزيريين[4].

ولمّا استطاعت صنهاجة الحكم على المغرب الأوسط، شعر بنو برزال والزناتيون باشتداد وطأتها، فكتبوا إلى جعفر ابن علي يرجونه أن يسعى إلى جوازهم إلى الأندلس لدى الخليفة **الحكم المستنصر**[5]، فعمل جعفر على تحقيق رغبتهم، ووصفهم لدى المستنصر بالشجاعة والانقياد إلى الطاعة[6].

ربّما كان ما فعله جعفر لقبائل بني برزال خوفًا من أن يتغير موقف زناتة، وأنّها قد تضمر له الغدر والمكيدة، ورُبّما تسليمه لبلكين ابن زيري كان ثمنًا لعدم التعرض لها[7]، فضاق عليه الخناق وأراد أن يُعلي من شأنها لدى الخليفة المستنصر من جهة، ومن جهة أخرى قرّر اللّحاق بأخيه

(1)- **قرطبة:** تبعد عن ماردة ببعد عشرين فرسخًا، وكانت دار ملك بني أمية في الأندلس كلّها، وهي مدينة عظيمة تقع على إحدى ضفاف النهر المسمى الواد الكبير، وليس في بلاد الأندلس نهر يُسمى باسم عربي إلاّ هذا، عليها جبل يُسمى بتاج العروس، ومن عجائب قرطبة الجامع الكبير الذّي بناه اثنا عشر ملكًا من بني أمية، ينظر: الزهري، كتاب الجغرافية، تح محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ب)، (د.س)، ص86، 87.

(2)- عبد العزيز فيلالي: مرجع سابق، ص194، حمدي عبد المنعم محمد حسين، مرجع سابق، ص8.

(3)- نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص105.

(4)- ابن عذارى المراكشي: مصدر سابق، ج2، ص243.

(5)- **الحكم المستنصر**: ولد المستنصر في مدينة قرطبة يوم الجمعة عند صلاة الظهر من جمادى الآخرة سنة **302هـ/ 914/**، ونشأ منذ صباه نشأة علمية في هذه المدينة التّي كانت عاصمة البلاد، وبقية العلماء، إذ كان لوالده عبد الرحمن ابن محمد ابن عبد اللّه الذّي حكم الأندلس من **300- 350هـ** دورا بارزًا في تعليمه، وعرف بحبه الشديد واهتمامه الزائد بالعلم، ولي المستنصر الخلافة سنة **350هـ**، وتوفي سنة **366هـ**، فكانت خلافته خمس عشر سنة وخمس أشهر، ينظر: ابن الفرضي، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تح عزت العطار الحسيني، مطبعة المدني، ط2، مصر، 1980، ج1، ص15، ابن الأثير، مصدر سابق، ج8، ص535، ابن الأبار، مصدر سابق، ج1، ص200.

(6)- ابن الخطيب: تاريخ اسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الإعلام في من بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تح إ.ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط2، بيروت، 1956، ص40.

(7)- نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص133.

يحي ومغادرة المغرب واللّحاق به إلى الأندلس[1]، وكان ذلك بعد شهر واحد فقط من وصول أخيه فرحب به الحكم المستنصر وأدخله في خدمته، إذ أنّه كان عدوًا للفاطميين[2]، حيث خُصَّ هو وأخيه وأتباعهما باستقبال حار، واجتمع بهم الخليفة في حفل بهيج[3].

نزل جعفر وأخوه بكورة **رية**[4]، فأمر الخليفة صاحب السكة والمواريث قاضي **اشبيلية**[5] بالخروج لاستقباله، ومعه هدايًا ثمينة من الخليفة إلى جعفر[6]. ويذكر ابن حيان هذه الهدايا ويقول: **<<...خرج لتلقي جعفر ابن علي ومعه أربعة من عتاق اللّيل، وبغل منتقاة من دواب الركاب بسروج الخلافة، ولجمها هبة لجعفر، وخمسون فرسًا من جياد خيل بسروجها ولجمها حملانًا لفرسانه، والأمتعة وما شاكل ذلك إبلاغًا في تكريمه وتكريم أهله وأصحابه>>** [7].

وهكذا فقد وردت على المعز الفاطمي النكبتان معا، فساد الأندلسي وخلعه وهزيمة زيري وقتله، فاشتد ذلك عليه وأقلقه[8]، فسارع برد فعل وأمر بلكين ابن زيري قائده وباشر بتوجيه الإمدادات إلى أشير،لتمكين بلكين بالقيام بحملة على زناتة في الحين[9]، فزحف بلكين على منطقة الحضنة والزاب، وقتل خلقًا كثيرًا من قبائل مزاتة وهوارة ونقرة، وفي ضواحي طبنة والمسيلة **وباغاية**[10]، ثمّ

(1)- النويري: نهاية الأرب في فنون العرب، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.س)، ج24، ص91، حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس تاريخ-فكر وحضارة وتراث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996، ج2، ص42.

(2)- السيد عبد العزيز سالم: مرجع سابق، ص557، حسين مؤنس، مرجع سابق، ص157.

(3)- فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص356.

(4)- **رية:** كورة من كور الأندلس في قبلي قرطبة، وهي كثير الخيرات، ينظر: الحميري، مصدر سابق، ص79.

(5)- **اشبيلية:** تقع أسفل قرطبة وتُسمى بعروس مدن الأندلس؛ لأنّ عليها تاج الشرق وفي وسطها النهر العظيم، ليس في معمور الأرض أشم حسنا منها، وهي مدينة كثيرة الخيرات والبساتين، يُقال أنّ بنيان هذه المدينة من اليونانين، وهناك من يقول القوط، ينظر: الزهري، مصدر سابق، ص88.

(6)- عبد العزيز فيلالي: مرجع سابق، ص195.

(7)- ابن حيان: مصدر سابق، ص92.

(8)- مفاخر البربر: مصدر سابق، ص97، الهادي روجي إدريس: مرجع سابق، ج1، ص64.

(9)- فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص97، الهادي روجي إدريس، مرجع سابق، ج1، ص64.

(10)- **باغاية:** مدينة في بلاد المغرب، عليها سوران وحجر، وربض عليه سور، وكانت الأسواق ثمّ أصبحت في المدينة، خالية بعد أن أفسدها الأعراب، وباغاية أول بلاد التمر، ينظر: الإدريسي، مصدر سابق، ج1، ص276.

سار في اتجاه تيهرت، فقتل الزناتيين بلا شفقة ولا رحمة[1]، وفيها يقول ابن خلدون: << **ثمّ ارتحل بلكين إلى المغرب وفوت أمامه زناتة فملك فاس وسلجماسة وأرض الهبط، وطرد عنها عمال بني أمية ثمّ غزى جموع زناتة، وأوقع بهم وقبض علي ابن خزر أمير مغراوة وقتله**>>[2].

وهكذا انتهى أمر مسيلة بني حمدون التّي أسّسها علي ابن حمدون وأبنائه جعفر ويحي، وأصبحت حاضرة المغرب الأوسط، وأسيادها، وصار يُضرب بهم المثل في الوفاء للمذهب الشيعي وللدولة الفاطمية، وأصبحوا يحكمون كافة هذا الإقليم، لكن مع مرور كلّ هذه الأحداث تخلى بنو حمدون عن حلمهم وطموحاتهم في أن يحكموا كامل إفريقية والمغرب نيابة عن الفاطميين، فقد قرّر جعفر التخلي عن كلّ هذه الأحلام والأملاك والسلطة واللجوء إلى الأمويين الذّين لطالما قاتلهم في فترات سابقة، وهذه النتيجة الأولى للقطيعة، أمّا النتيجة الثانية والتّي لصالح بني زيري أنّهم أصبحوا وحيدين في حكم المنطقة، فلا أحد يُنافسهم على حكمها، بعد أن رحل بنو حمدون عنها، هذا بالإضافة إلى نتيجة أخرى وهي عبور قبيلة بني برزال إلى بيئة جديدة بعيدًا على بلاد المغرب وهي الأندلس، وقد عبروا إليها بأعداد كبيرة ممّا قد يُغيّر في التركيبة الاجتماعية للمجتمع الأندلسي، وهكذا فقد طويت صفحة بني حمدون الفاطميين، وبدأت صفحة جديدة من تاريخهم، وهي بنو حمدون الأمويين الذّين سيكون لهم وقع في تاريخ هذه الدولة في فترات لاحقة.

(1)- فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص356.

(2)- ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص206.

الفصل الرابع:بني حمدون تحت لواء الخلافة الأموية بالأندلس.

المبحث الأول: دورهم في عصر الحكم المستنصر (350-366هـ/ 961- 976م)

المبحث الثاني: دورهم في عصر المنصور أبي عامر (366-392هـ/ 976- 1001م).

المبحث الثالث: نهاية أسرة بني حمدون

المبحث الأول: دورهم في عصر الحكم المستنصر (350- 366هـ/ 961- 976م)

بعد الانتصارات الكبرى التّي حققها جعفر وأخوه يحي في منطقة الزاب مع حلفائه الجدد من الزناتيين من بني برزال وغيرهم، وقضائهم على منافسهم المعتاد زيري ابن مناد، وهذه المعركة التّي كان وقعها شديد في تاريخ أسرة بني حمدون، فقد أقدموا على خطوة غيرت مجرى حياتهم وتمثلت في إعلانهم الولاء والتبعية للخلافة الأموية ليس إعلانًا فقط، بل رحلوا إليها بأسرهم وعبيدهم وأموالهم متوجهين إلى الخليفة المستنصر الذّي رحب بهم أحسن ترحيب، وأرسل قضاته ووزرائه لاستقبالهم، باعتبار أنّ جعفر وأخاه ومن معه من بني برزال كانوا يحملون معهم رأس زيري ابن مناد كهدية للمستنصر؛ حيث إنّ زيري لطالما عكّر الصفو بصراعاته ومحاولاته المتتالية من أجل بسط سيطرته على منطقة المغرب الأقصى.

كل هذه الأحداث جعلت ن الحكم المستنصر الخليفة الأموي يُكرم ويوجب بهذين الأخوين، ويغدق عليهما بالأموال، ويرفع مكانتهما عنده، لكن هذه العلاقة سرعان ما تغيرت، وحدثت فجوة بين المستنصر وجعفر وأخوه، فما هي يا ترى أساب هذه الفجوة؟ وكيف كانت نهايتها.

وقبل التطرق إلى إجابات هذه الأسئلة سنتطرق إلى نقطة لم تتناولها جل المصادر ما عدا إشارة بسيطة تناولها ابن حيان، وهي الدور العسكري القيادي الذّي قام به جعفر ابن علي ضد الثائر في بلاد المغرب الحسن ابن كنون الإدريسي. ولا بأس أن نعطي لمحة بسيطة عن هذه الثورة. ثورة الحسن ابن كنون الإدريسي: كان وقوع **الأدارسة**[1] **(172- 375هـ/ 788- 985م)**، بين قوتين كبيرتين هما الخلافة الأموية بالأندلس والفاطمية وحلفائها بالمغرب، وهو سببًا

(1)- **الأدارسة:** نسبة إلى إدريس ابن عبد اللّه ابن الحسن ابن علي ابن أبي طالب، الذّي بدا له المغرب هو البلد المطلوب بعد أن هرب من موقعه "فخ" فنزل به سنة **172هـ**، وتوجه إلى قبيلة أوربة وعرف زعيمها بنفسه، فأجاره وأكرمه، وتمكن خلالها من نشر دعوته، وتمكن بفضل فصاحة لسانه من التأثير على نفوس البربر، ثمّ جاء بعده إبنه إدريس الذّي بنى مدينة فاس لتُصبح عاصمة للأدارسة في بلاد المغرب الأقصى، لكن ومع مرور الزمن سقطت هذه الدولة بعد تطور عظيم شهدته بسبب الصراعات على الحكم بين أفراد الأسرة الحاكمة، ينظر: عبد الرحمن حسين العزاوي، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، دار الخليج، الأردن، 2001، ص-ص53-64.

رفضته الجغرافية والاعتبارات السياسية والعسكرية، لوصف سياستها الخارجية بعدم الثبات على اتجاه واحد[1]، شأنها في ذلك شأن كلّ قوة صغيرة تتوسط قوتين كبيرتين بما يمنح مواقفها مرونة باللجوء إلى الجهة التّي تُوفر لها البقاء متطلعة على الدوام إلى الاستقلال إذا ما اشتغل الآخرون عنها[2]، فنجدهم تارة يُؤيدون الفاطميين وأخرى يُناصرون الأمويين حسب مقتضى الحال[3]، وكان الزعيم الإدريسي الحسن ابن كنون، وهو القائم ابن محمد ابن القاسم ابن إدريس وهو آخر ملوك الأدارسة بالمغرب[4]، يوالي بني أمية في الأندلس ويُداينهم، وأثناء حملة بلكين ابن زيري طمح الحسن ابن كنون في الوثوب بأصحاب الحكم المستنصر وحلفائه بالمغرب[5]؛ لأنّ ولائه من المرة الأولى كان خوفًا لاصقا فيهم، وفي هذا يقول صاحب كتاب الأندلس المطرب: **<<تمسك بدعوة الناصر ودعوة ولده الحكم المستنصر من بعده خوفًا منهم لا محبة فيهم لقرب بلاده منهم>>**[6]، فبعد أن تمزقت زناتة وبسط بلكين سلطانه على بلاد المغرب، وهم مدينة **البصرة**[7]، وبذلك حقق الانتقام لأبيه، ولم يمض وقت طويل على هزيمة زنات حتى سارع الحسن بن كنون إلى نقض طاعة الأميرين في الأندلس مرة أخرى، وسارع إلى بيعة بلكين تحت لوائه[8]. وفي هذا يقول ابن عذاري المراكشي: **<<...منحرفا إلى دعوة قرينه معد ابن إسماعيل صاحب إفريقية الممد له في الضلالة وانضوائه إليه...>>**[9]، وهذا طبعًا كان لعدة ظروف منها: أنّ الحسن ابن كنون انتظر

(1)- نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص130.

(2)- وفاء عبد اللّه بن سليمان المزروع: الخليفة الأموي الحكم المستنصر **350-366هـ**، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة الإسلامية، جامعة أم القرى، **1982/ 1983، ص160.**

(3)- محمود إسماعيل: الأدارسة **(172- 375هـ)** حقائق جديدة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ص160.

(4)- السلاوي: مصدر سابق، ج1، ص89.

(5)- عبد العزيز فيلالي: مرجع سابق، ص197.

(6)- ابن أبي زرع الفاسي: مصدر سابق، ص91.

(7)- **البصرة:** مدينة مغربية أسسها الأدارسة في القرن الثالث هجري، وصار لها شهرة كبيرة في الازدهار والعمران حتى القرن الرابع، وكانت تُعرف ببصرة الكتان لاشتهارها بتجارة الكتان، وتُعرف أيضًا بالحمراء؛ لأنّ تربتها حمراء، ينظر: البكري، مصدر سابق، ص110، 11، ابن الخطيب، المغرب العربي الكبير، الإحالة رقم 1، ص164.

(8)- سامية مصطفى مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس عصر الخلافة الأموية، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (د.ب)، 2000، ص102.

(9)- ابن عذارى المراكشي: مصدر سابق، ج2، ص245.

عودة بلكين إلى إفريقية فنقض طاعة فاطميين، وقد أثار هذا التصرف غضب بلكين وأعّد جيشًا كبيرًا لإعادة هيبة الفاطميين بالمنطقة، وتمكن من إخضاع ابن كنون وأجبره على البيعة له مرة أخرى[1]، وأن يخلع طاعة الأمويين ويسيطر على مواقع إستراتيجية تابعة لحكمهم في المغرب الأقصى كمدينة **تطوان**[2] **وطنجة**[3] **وأصيلا**[4]، غير مكترث بردة فعلهم[5]، على الرغم من أنّه يعلم أنّ هذا لن يُعجب الأمويين.

وعندما علم الخليفة عزم على محاربة الحسن ابن كنون، وأرسل في طلب قائده قاسم ابن أطلمس، وأمره بالتهيئة والاستعداد للخروج لمواجهته[6]، وكان على قيادة أحد هذه الجيوش يحي ابن علي الذّي أثار تكليف الخليفة غبطته وفرحته للثقة التّي ولاه إيّاها[7]، وفي هذا يقول ابن حيان: **<<وتوصل إلى يحي ابن على ابن الأندلسي المستأمن فأمره بالتأهب للخروج غلى الوزير القائد الأعلى...فأهتش لذلك وأبدى السرور والغبطة>>**[8]، وكما ذكرنا سابقا أنّ هذه المهمة لم تتناولها المصادر الأخرى ما عادا ابن حيان، ولم يذكر تفاصيل أخرى عن سير هذه الحملة ولا تفاصيل قيادة يحي نحو المغرب.

(1)- حمزة السر محمد الحسن وصلاح الدين يوسف بورويقة: الصراع الأندلسي الفاطمي في بلاد المغرب، المجلة الليبية العالمية، ع14، فيفري 2017، ص7.

(2)- **تطوان:** مدينة قديمة كثيرة العيون والفواكه والزرع، طيبة الهواء والماء، أنظر: صاحب الاستبصار، مصدر سابق، ص137.

(3)- **طنجة:** مدينة مغربية تقع على الطرف الغربي من مضيق جبل طارق على بعد ثمانية عشر كيلو إلى الساحل الإسباني، تتواجد بها قبائل صنهاجة، واشتهرت بأنواع الرياحين، وقيل أنّ طنجة آخر حدود إفريقية على البحر، ينظر: صاحب الاستبصار، مصدر سابق، ص137، الحموي، مصدر سابق، ج4، ص43، ابن حوقل، مصدر سابق، ص79.

(4)- **أصيلا:** مدينة على ساحل المحيط الأطلسي بين طنجة ومدينة العرائش، وقد اهتم الأدارسة ببنائها وجعلوها قاعدة لهم إلى جانب حجر النسر، سكانها من قبائل لواتة، وكتامة، ينظر: البكري، مصدر سابق، صص111، 112.

(5)- السلاوي: مصدر سابق، ج1، ص87، نهلة شهاب أحمد، مرجع سابق، ص134.

(6)- محمود إسماعيل: مرجع سابق، ص172.

(7)- نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص134.

(8)- ابن حيان: مصدر سابق، ص130.

انتهت ثورة الحسن ابن كنون باستسلام هذا الأخير بعد أن حاصر القُواد الأمويين[1]، الذّين كان من بينهم يحي ابن علي، ودخلوا الحصن، وصلّوا به صلاة الجمعة، ودعوا إلى الخليفة المستنصر على منابر هذا المسجد[2]، وهكذا تمكن قادة الحكم المستنصر من استئصال شأفة الأدارسة ببلاد الريف[3]، وتحويل أتباعهم من المذهب الزيري إلى المذهب المالكي[4]، وأعلن الحكم هذه الأنباء في مسجد قرطبة[5]، وهكذا كانت نهاية أوّل مهمة قام بها أفراد أسرة بني حمدون لصالح الأمويين، وقد أبلى فيها هؤلاء بلاءً حسنًا ممّا زاد من مكانتهم لدى الخليفة الأموي.

لكن سرعان ما تغيرت هذه العلاقة، ففي سنة **363هـ/ 973م** شهدت العلاقة بين الطرفين فتورًا وتطور أدى إلى تغيير في موقف الخلافة منهم، وقد تناولت المصادر عدة أسباب في هذا التغيير ؟أوّلها ما يذكره ابن خلدون << **ثمّ جاء بعد ذلك شأن اعتقالهم عن طريق التأديب لمرتكب من نازعهم...خرقوا به حدود الآداب مع الخلافة** >> [6].

من خلال ما قاله ابن خلدون نفهم أنّهما قد تعديَا حدودهما مع الخليفة، فاستدعاهما إلى القصر ثمّ أمر باعتقالهما، لأمّا ابن الأبار فيعطينا رأيًا آخر حيث يقول:<< **فأقاما مكرمين عند الحكم المستنصر باللّه إلى أن سعي بهما إليه، فسخط عليهما وأمر بإزعاجهما**>>[7].

من خلال ما قاله ابن الأبار نفهم أنّ هناك شخصًا أزعجه وجود بني حمدون بالبلاط الأموي، وسعى إلى التخلص منهما دون أن يُعطينا إشارات أخرى عن من هو هذا الشخص.

(1)- حمزة السر محمد الحسن وصلاح الدين يوسف بورويقة: مرجع سابق، ص8.

(2)- وفاء عبد اللّه بن سلمان المزروع: مرجع سابق، ص110.

(3)- محمد عبد اللّه عنان: دولة الإسلام في الأندلس- الخلافة الأموية والدولة العامرية، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 1997، ق2، ص497.

(4)- محمد عبد اللّه عنان: دولة ...، ص498.

(5)- ابن عذارى المراكشي: مصدر سابق، ج2، ص329، سامية مصطفى مسعد، مرجع سابق، ص105.

(6)- ابن خلدون: مصدر سابق، ج4، ص109.

(7)- ابن الأبار: مصدر سابق، ج1، ص306.

أمّا السبب الأخير والأوضح هو أنّ الحكم المستنصر قد ابتاع منهما عبيدهما الذّين استعفوا من خدمتهما ودفع الثمن إليهما ومن ثمّ فصل العبي عنهما، وضمهم الحكم إلى جنده لمّا كانوا يتصفون به من الشجاعة والبأس[1]، وكان أكثرهم يركب الخيل حيث قدّر الداعي إدريس عددهم الذّي مرّ إلى الأندلس بصحبة جعفر حوالي أربعة آلاف شخص[2]، وتمّت البيعة بمحضر عدد من الفقهاء، فانضم هؤلاء العبيد إلى خدمة الحكم المستنصر[3]، غير أنّ ابن حيان ذكر أنّ الإخوان رفضا هذه البيعة، وقيل إنّهما قد عبّرا عن رفضهما بأن قالا كلامًا لا يُحمد في حق الخليفة[4]، وجاهرا بامتداح خلفاء الشيعة وسادتهم الأوائل، ونمى ذلك ووصل إلى الحكم المستنصر فأمر بالقبض عليهما[5]، وكان ذلك في شوال سنة **363هـ/ 974م**، ولبث في السجن عدة أشهر[6].

هذا ملخص ما أوردته المصادر عن هذه الحادثة، ويفرض المنطق التوقف على مدى جِدته ومعقولية هذا الموقف لكلا الطرفين، فما الذّي كان يبغيه الخليفة من تجريد بني حمدون من عبيدهم[7]؟ وهل كان بحاجة إليهما؟ وما الذّي دفع الأخوين جعفر ويحي إلى نقض اتفاق أقروه؟

يبدوا أنّ إلحاق الخليفة الأموي الحك المستنصر عبيد جعفر في خدمته تدخل ضن ساسة الاحتواء التّي انتهجها مع القوى التّي وفدت عليه من المغرب من بني برزال وغيرها، والتّي يتكون معظمها من عنصر البربر، فعمل على ضمها إلى جيشه لمّا يُعرف عن البربر من قوة وبسالة، أو تسخيرها لحماية ولي عهده[8].

(1)- محمد عبد اللّه عنان: دولة ...، ص500.
(2)- الداعي إدريس: مصدر سابق، ص730.
(3)- وفاء عبد اللّه بن سليمان المزروع: مرجع سابق، ص119.
(4)- محمد عبد اللّه عنان: دولة ...، ص500.
(5)- المرجع نفسه: ص501، ابن حيان، مصدر سابق، ص192.
(6)- وفاء عبد اللّه بن سليمان المزروع: مرجع سابق، ص119.
(7)- نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص130.
(8)- ابن حيان: مصدر سابق، صص 192، 193.

والذّي عُرف **بهشام المؤيد**[1]، عرض أن يستفيد منها أطراف أخرى ضده، وهذه القوة التّي تتعدى أربعة آلاف شخص[2] مكونة من ثلاث فئات؛ فئة العبيد التابعين لجعفر وأخوه يحي، وفئة رجال زناتة وبني برزال الذّين لحقوا بجعفر فيما بعد، وأيضا فئة المغاربة التّي جلبها يحي بعد قضائه على ثورة الحسن ابن كنون[3]، واعتبر ابن حيان أنّ هذه السياسة من الخليفة الأموي هي السبب في بروز قوة البربر ونفوذهم في الدولة الأموية[4]، وكان لهم دور كبير في الأحداث التّي لحقت بالمنطقة في الفترات اللاحقة.

ليس هناك إشارة تُفسر ما اختفى من أهداف ومقاصد وراء الحادثة التّي لا نجد لها مبررًا منطقيًا، سوى أن نفترض أنّ الخليفة الحك قد أقلقهُ تعاظُم نفوذ بني حمدون من خلال تزايد أتباعهم وعبيدهم، وهو ما أشعره بخطورة ذلك على ولائهم وسلطته عليهم[5]، لهذا عمل على تجريد جعفر وأخاه يحي من القوة التّي تحميها وتُشكل خطرًا عليه وعلى مكانته، وقد تطرق ابن الأبار عن أوضاع جعفر ويحي ومدى تجلدها وشهامتها في هذه المحنة، حيث يقول ابن الأبار بأنّ يحي عندما كان معتقلاً في السجن كان يُردد ما يلي: << **هذا جزاء من آثر بني مروان على ولد فاطمة بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم**>> [6]، وهذا يدل على أنّ يحي قد ندم على قطيعته

(1)- **هشام المؤيد:** هو هشام ابن الحكم ابن عبد الرحمن الناصر، كنيته أبو الوليد ولقبه المؤيد باللّه، أمه صبح البشكنسية، بويع يوم الاثنين، وضفر سنة **366هـ** بعهدٍ من أبيه وهو ابن إحدى عشر سنة، وكان هشام مندرجًا في طي كافله الحاجب المنصور، بحيث لا ينسب إليه تدبير ولا يرجع إليهفي الأمور قليل ولا كثير، ولا يملك من الخلافة إلاّ اسمها وسلطتها الروحية، وتحولت السلطة الزمنية والفعلية للمنصور ابن أبي عامر، ينظر: ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ج2، ص253، ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الإسلامية، ص57، عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود **(91- 897هـ/ 710- 1492م)**، دار النهضة العربية، لبنان، 2002، ص189.

(2)- الداعي إدريس: مصدر سابق، ص730.

(3)- وفاء عبد اللّه بن سليمان المزروع: مرجع سابق، ص110.

(4)- ابن حيان: مصدر سابق، ص193، محمد عبد الله عنان، دولة ...، ص501.

(5)- نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص135.

(6)- ابن الأبار: مصدر سابق، ج1، ص306.

للفاطميين وبقائه بين يدي الخليفة المستنصر، وإنّه في داخله لا يزال هناك نوع من الولاء لهم، وعندما وصلت هذه الكلمات للمعز الفاطمي عطف على ما تبقى من أفراد هذه الأسرة[1].

وعلى أية حال استمر اعتقال بني حمدون لبضعة أشهر حتى عاد الخليفة وعفا عنهما وأمر بإطلاق سراحهما، وكان ذلك في رجب من العام التّالي، فأقرا بالذنب وطلبا الصفح[2]؛ حيث يقول ابن حيان في ذلك: <<**ورجوه يعفوان أمير المؤمنين وكريم صفحه، فاعترفا بالهفوة وتشكرا الإنابة...**>>[3]. وللإشارة فإنّ هذا الإفراج لم يكن صدفة، فقد كان بتدخل الوزير عبد الملك **منذر ابن سعيد السلوطي**[4] بشفاعة ابنه هشام الصغير؛ حيث يقول ابن الأبار: << **إنّ الحكم عفا عنهما بسعي من عبد الملك ابن القاضي منذر ابن سعيد السلوطي صاحب خطة الرد، وتلطفه في الاستشفاع بهشام ابن الحكم فيهما**>> [5]. وبعد فترة من الزمن أُصيب الحكم بشلل أقعده عن الخروج والحركة[6]، فركدت ريح الأمويين بالمغرب، فرأى وزيره الأخص وصاحبه **جعفر ابن عثمان المصحفي**[7] تقليد لجعفر ابن علي الأندلسي العدوة المغربية باسم الحكم المستنصر، وأباح لهما ما افتتحاه من البلاد[8]، وكانت حدود المنطقة التّي حكمها هذان الأخوان في تلك الفترة لا

(1)- ابن الأبار: مصدر سابق، ج1، ص306.

(2)- محمد عبد اللّه عنان: دولة ...، ص500.

(3)- ابن حيان: مصدر سابق، ص173.

(4)- **منذر ابن سعيد السلوطي:** أصله من مدينة سماتة البربرية التّي هاجرت إلى الأندلس ، فتقلد بعضهم مناصب مهمة في الدولة كسعيد السلوطي، الذّي تولى منصب قاضي القضاة في عهد الخليفة الناصر لدين اللّه، ومن المعروف أنّ جعفر ويحي كانا أميرين على منطقة الزاب، فربّما كان هذا السبب وراء سعيه إلى التشفع لهما عند الخليفة، ينظر: ابن حزم، مصدر سابق، ص500، محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، (د, س)، الإحالة رقم 89، ص632.

(5)- ابن الأبار: مصدر سابق، ج1، ص306.

(6)- محمد عبد اللّه عنان: دولة ...، ص510.

(7)- **جعفر ابن عثمان المصحفي:** هو أبو الحسن جعفر ابن نصر بن قوز ابن عبد اللّه ابن كسيلة القيسي، كان لطيف المنزلة من الحكم المستنصر باللّه، قديم الصحبة استكتبه المستنصر ورقاه إلى خطة الشرطة؟، والنظر في العديد من الأعمال، كما تقلد منصب الوزارة في عصر ابنه، وكان جعفر ابن عثمان أحد شعراء الأندلس المحسنين، كما ولي على جزيرة ميورقة في أيام الناصر، ينظر: ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ج2، ص253، ابن الأبار، مصدر سابق، ج1، ص257.

(8)- مفاخر البربر: مصدر سابق، ص103.

تتعدى حدود فاس والمغرب[1]، فولي عليها جعفر ابن علي وتقدّم على جميع بلاد البربر[2]، ربما كانت مساحة صغيرة بالنسبة لقائد عظيم، لهذا أتاح له ما افتتحه من بلاد البربر.

وهكذا أسند الخليفة الحكم ووزيره جعفر ابن عثمان إمارة المغرب الأقصى لأبناء علي ابن حمدون، ولا يُمكن أن يكون ذلك لهما أو تعويضًا عن ما أصابهما[3]، بل كانت هناك مجموعة أسباب أدت به للقيام بهذه الخطوة؛ أوّلها ما يذكره ابن خلدون حيث يقول: << **أدى له الحاجب المصحفي لجعفر ابن علي جمع بين الانتفاع في مقارعة زناتة والراحة ممّا يتوقع منه على الدولة**>> [4]، ومنه فإنّ الوزير تعمد إبعاد جعفر وأخيه عن الأندلس للتخلص ممّا قد يثيرونه من مشاكل، وما يتوقع منهم ومن طموحاتهم في السيطرة على الحكم[5]، أمّا السبب الثاني وهو إضعاف نفوذهما السياسي بالمنطقة، كما وجد فيهما سلاحًا يُمكنه استخدامه ضدّ الفاطميين وحلفائهم بالمغرب[6]، وأيضا الاستفادة من خبرة بني حمدون وعلاقتهم القبلية في المغرب والمستمدة من نشاطهم الطويل بها[7]؛ حيث يقول صاحب كتاب "**مفاخر البربر**": <<**...وتقليد جعفر ابن علي الأندلسي العدوة إذ كانت بلده...**>>[8]، وهذه جلّ الأسباب التّي أوردتها المصادر والمراجع حول الخطوة التّي أخطاها الوزير بتنصيب الأخوان على المغرب.

باشر بنو حمدون في حكم المغرب الأقصى عام **365هـ/ 975م** ساعين لاستعادة ما كان لهم من مكانة ونفوذ، وتدعيمها بولاء ومساعدة بقية أمراء قبائل المغرب أمثال **يدو ابن يعلى**

(1)- ابن خلدون: مصدر سابق، ج4، ص109.
(2)- مجهول: تاريخ الأندلس، تح عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971، ص212.
(3)- نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص136.
(4)- ابن خلدون: مصدر سابق، ج4، ص109.
(5)- نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص135.
(6)- أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، (د. س)، ص229.
(7)- نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص135.
(8)- مفاخر البربر: مصدر سابق، ص103.

اليفرني[1]، وضبط جعفر ابن علي المغرب أحسن ضبط، وسارت إليه زناتة حتى سار في نحو ستة آلاف فارس[2]، وهكذا أعاد بنو حمدون إلى بلاد المغرب من جديد بعد أن تركوها في فترات سابقة.

هذه هي الأحداث التّي وقعت لأسرة بني حمدون عصر الحكم المستنصر، والتّي تباينت بين الربح والخسارة، فإذا نظرنا إلى الجانب السلبي نجد أنّ النكبة التّي تعرض لها جعفر ويحي ودخولهما السجن في الوقت الذّي كانوا حديثي العهد فيه عند الأمويين عرقلت نوعًا ما من طموحهم الذّي يسعون إليه. أمّا إذا نظرنا إلى الجانب الإيجابي ومعه استرداد المكانة والسلطة، وذلك في فترة حكمهم على المغرب الأقصى، إلاّ أنّ هذا لم يدم طويلاً فعندما توفي الحكم المستنصر ظهرت بعده شخصية **المنصور ابن أبي عامر**[3] الذّي استبد بالحكم وكافة السلطة في الدولة الأموية، تغيرت هذه المكانة خاصة بعدما استدعى هذا الأخير جعفر بالذهاب إليه إلى الأندلس، فيا ترى ما هو سبب هذه الدعوة؟ وإلى أين ستألون أمور هذين الأخوين عصر المنصور؟ وهذا ما سنتعرف عليه فيما تبقى من الدراسة.

(1)- **يدو ابن يعلى اليفرني:** زعيم قبيلة بني يفرن المغربية، بُويع بعد مقتل أبيه يعلى ابن محمد، سار يدو على نهج أبيه بعلاقته الطيبة مع بني أمية في الأندلس، فيصفه صاحب مفاخر البربر، وكان يدو ابن يعلى من الموالين للحكم الأموي، وقد سلك هذا الزعيم كثيرًا من بوادي زناتة، ينظر: مفاخر البربر، مصدر سابق، ص14، ابن الخطيب، تاريخ المغرب...، ص165.

(2)- مفاخر البربر: مصدر سابق، ص103.

(3)- **المنصور ابن أبي عامر:** محمد ابن حفص عبد اللّه ابن محمد ابن عبد اللّه ابن عامر ابن أبي عامر، كانت ولادته سنة **327هـ/ 939م**، أصله من الجزيرة الخضراء تولى المنصور في نحو السابع والعشرين من عمره أمر القيام على الخليفة هشام، وكان لذكائه ونجابته دور كبير في لفت نظر السيدة صبح منذ دخوله للبلاط، فعرفها به بعض من كان يأنس الجلوس إليه من فتيان القصر، فاستحسنت كتابته وعينته أمين لبعض شؤونها حتى وصل أعلى الدرجات، ينظر: ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ج2، ص253، المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988، ج1، ص178.

المبحث الثاني: دورهم في عصر المنصور ابن أبي عامر (366-392هـ/ 976- 1001م)

تُوفي الحكم ابن عبد الرحمن الناصر يوم **2صفر 366هـ/ 976م**، بعد مرض أقعده عدة أشهر تاركًا ولاية العهد إلى ابنه هشام الذّي لم يكن قد بلغ الثانية عشر من عمره[1]، واستخلفه على بلاد الأندلس وفوقها بلاد النصارى في الشمال، ومن تحتها الدولة الفاطمية في الجنوب[2]، وبعد أن توفي الحكم ظهر في القصر حزبان قويان هما الفتيان الصقالبة من جهة، ومن جهة أخرى الحاجب جعفر ابن عثمان المصحفي ومعه المنصور ابن أبي عامر، ومن وراء هذا الحزب أم الخليفة **صبح البشكنسية**[3] التّي كانت أقوى شخصية في هذا الحزب[4]، وبدأ كلّ واحد من هؤلاء يكشف أوراقه، فالحاجب جعفر المصحفي يُريد التخلص من الصقالبة الذّين كانوا يسعون إلى تنصيب المغيرة شقيق الحكم وعلى هشام على الحكم، وكانوا على اتفاق لتنفيذ ذلك[5]، ومحمد ابن أبي عامر الذّي كان يرغب في تحسين مركزه وتقوية نفوذه في الدولة ليسهل عليه الوصول لطموحاته البعيدة[6]، لذلك فقد سعى المنصور إلى التخلص من كلّ منافسيه، وبدأ بتنفيذ خطته وأوّل ما قام به هو التخلص من المغيرة عم هشام المؤيد، وقام بتنفيذها بمساعدة مجموعة من الجند وفي عقر داره[7]، وبذلك يكون المنصور قد تخلّص من أقوى منافس له على السلطة وثمّ

(1)- محمد قجة: المنصور الأندلسي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 1984، ص16.

(2)- راغب السرحاني: قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، مؤسسة اقرأ للنشر، القاهرة، 2011، ج1، ص244.

(3)- **صبح البشكنسية:** قرينة الحكم المستنصر، وأم ولده هشام المؤيد، ظهرت صبح في البلاط الأموي في أوائل عصر المستنصر، وبسبب جمالها وحنكتها السياسية استطاعت أن تستأثر بالبلاط والحكومة بكلّ نفوذ وسلطان، وكانت كلمتها هي العليا في تعيين الوزراء ورجال الدولة، توفيت سنة **390هـ/ 1000م**، ينظر: محمد عبد اللّه عنان، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1970، ص- ص199-206.

(4)- راغب سرحاني: مرجع سابق، ص244.

(5)- بسام العسلي: الحاجب المنصور **(326- 392هـ/ 938- 1002م)**، دار النفائس، ط2، بيروت، 1983، ص34.

(6)- علي أحمد عبد اللّه القحطان: الدولة العامرية في الأندلس دراسة سياسية وحضارية **(367- 399هـ/ 978- 1009م)**، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1981، ص27.

(7)- ابن سعيد المغربي: المغرب في حُلَى المغرب، تح شوقي ضيف، دار المعارف، ط4، القاهرة، (د. س)، ج1، ص200.

تنصيب هشام في **366هـ/ 976م**، وبالطبع لأبي عامر دور كبير في ذلك[1]، لكنّ المنصور كان يطمح إلى أكثر من ذلك وقرّر التقلب على هشام لصغر سنّه وثاب له رأي في الاستبداد[2]، ثمّ بدأ في شوط آخر وهو التخلص من جعفر المصحفي الوزير الأقرب إلى الخليفة ومُدبّر شؤونه[3]، وذلك بالتأكيد كان بمساعدة صبح، وكان يملك لذلك سلاحين هامين أولهما ذكائه الفريد وطموحه العظيم وكفاءته النادرة، وثانيهما تأييد صبح المطلق له وثقتها الكاملة به[4]، وذلك راجع إلى ما أبداه المنصور من براعة وحنكة سياسية ونجاحًا في المهام المسندة إليه[5]، وكان أوّل خصوم المنصور هو رئيس الوزراء جعفر المصحفي[6]، فانتهز فرصة العداء الذّي نشب بين المصحفي وبين رؤساء الصقالبة عقب مقتل المغيرة بن عبد الرحمن، وأخذ يوقع بين الطرفين واستطاع المنصور أن يُشتت قوات الصقالبة ويخرجهم من القصر[7]، وفي ذلك يقول ابن عذاري: **<<وانحصرت شوكة الصقالبة حينئذ وفل حدهم...وتقلّد المنصور أمر القصر والحرم بعد إخراج هؤلاء الفتيان...وإجبارهم على الطاعة فأصغوا إليه >>**[8]، كمّا استغل المنصور عدم التفاهم بين جعفر المصحفي، وغالب ابن عبد الرحمن قائد الجيش وأمير الثغور وأقوى شخصية بالأندلس[9]، فأخذ المنصور يتقرب منه وتزوج ابنته أسماء، وأصبح الجيش بذلك بيده[10]، ثمّ جاءت حادثة

(1)- ابن عذارى المراكشي: مصدر سابق، ج2، ص260.

(2)- المقريزي: إتعاظ ...، ج1، ص396.

(3)- ابن الخطيب: تاريخ اسبانيا...، ص60.

(4)- محمد قجة: مرجع سابق، ص18.

(5)- ابن سعيد المغربي: مصدر سابق، ج1، ص199، المقري، مصدر سابق، ج1، ص399.

(6)- أحمد مختار العبادي: في تاريخ ...، ص228.

(7)- نفسه.

(8)- ابن عذارى المراكشي: مصدر سابق، ج2، صص263، 264.

(9)- المصدر نفسه: ص264.

(10)- بسام العسلي: مرجع سابق، ص25.

قشتالة، فقد شنت **قشتالة**[1]، هجومًا على الأراضي الإسلامية في الأندلس مستغلة الصراع على النفوذ والسلطة بين أعوان الخليفة الحكم[2].

وقد وجد ابن أبي عامر الفرصة المناسبة لإظهار قوته وبراعته في القيادة، وضمّ الجيش إلى جانبه وتقدّم بنفسه إلى قيادة الجند وعاد بأكبر الغنائم واستقبل استقبال الأبطال وقويت بذلك شوكته[3]، وبمقدارها ارتفعت مكانة ابن أبي عامر وتراجعت مكانة جعفر المصحفي خاصة بعدما اتهمه الحاجب المنصور بتهم عديدة منها استغلال أمور الدولة لخدمة شؤونه الخاصة[4]، وأوغر صدر الخليفة عنه[5]، فأمر بعزله من الحجابة والقبض عليه وزجه في السجن[6]، وقتله خنقا[7] سنة **372هـ/ 982م**[8]، وهكذا يكون المنصور قد تخلّص من العقبة الثانية في طريقه، والتّي كانت تُنافسه على الحكم داخل القصر، والآن كبُر طموح المنصور، وأراد توسيع سلطته خارج القصر وقرّر القضاء على غالب ابن عبد الرحمن قائد الجيوش الأموية، وهنا يبرز دور أسرة بني حمدون (جعفر ويحي) على مسرح الأحداث.

تحول المنصور بعد ذلك إلى شخصية قوية أخرى تعوقه على الوصول إلى المبتغى وهو غالب ابن عبد الرحمن، ونظرًا لقوة هذه الشخصية فإنّ المنصور لم يقدم على مواجهته جزافًا، بل استعان بفارس شجاع مثله وهو القائد جعفر ابن علي ابن حمدون[9]، وكان ذلك سنة **367هـ/ 977م**، حيث وصل أمر الحاجب المنصور إلى جعفر ابن علي بترك المغرب والعودة إلى

(1)- **قشتالة:** إقليم عظيم بالأندلس...قصته اليوم طليطلة وجميعه اليوم بيد الإفرنج، ينظر: الحموي، مصدر سابق، ج4، ص315.

(2)- أحمد يوسف السادة: الفكر السياسي والعسكري للحاجب المنصور محمد ابن أبي عامر **(326- 392هـ/ 938- 1022م)**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآداب، قسم التاريخ، جامعة بيروت العربية، 2010، ص50.

(3)- محمد قجة: مرجع سابق، صص18، 19.

(4)- ابن عذارى المراكشي: مصدر سابق، ج2، ص271.

(5)- أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص221.

(6)- مفاخر البربر: مصدر سابق، ص104، أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص221.

(7)- ابن عذارى المراكشي: مصدر سابق، ج2، ص267.

(8)- ابن الأبار: مصدر سابق، ج2، ص267.

(9)- أحمد مختار العبادي: في تاريخ ...، ص228.

الأندلس، ويبدوا أنّ المنصور استهدف الاستعانة بها لديه من قوة لمواجهة منافسه على حكم الأندلس غالب ابن عبد الرحمن[1]، وتواترت كتب المنصور على جعفر ابن علي يستحثه على المجيء[2]، فصار جعفر يلتوي عليه ويكره العودة إلى الأندلس لما بقي بها[3]، إلاّ أنّ تواتر كتب المنصور عليه، واهتزاز مركزه والخشية من فقدان نفوذه في المغرب الأقصى جعله ينصاع لأمر الحاجب المنصور في القدوم إليه[4]، إلى أن وقع الخلاف بين جعفر وأخيه يحي واقتطاع هذا الأخير مدينة البصرة وما وراءها لنفسه، وذهابه بأكثر الرجال عنه[5]، إضافة إلى ذلك فقد مُنيّ جعفر بهزيمة قاسية أمام **برغواطة**[6]، ونَفِذَ منها بصعوبة وهذا ما سهّل عليه التخلي عن المغرب الأقصى لأخيه يحي والعبور إلى الأندلس عام **367هـ/ 977م**[7]، وفي ذلك يقول ابن خلدون: **<<...وفسد ما بين هذين الأميرين جعفر ويحي واقتطع يحي مدينة البصرة لنفسه...ثمّ كانت على جعفر النكبة التّي نكبته ببرغواطة...>>**[8]، وعبر جعفر إلى الأندلس بجنوده البربر[9]، وللإشارة لم تذكر المصادر ولا المراجع بكم قدر هؤلاء البربر الذّين اجتازوا البحر مرورًا إلى الأندلس بقيادة جعفر في تلك الفترة.

(1)- ابن عذارى المراكشي: مصدر سابق، ج2، ص278، نهلة شهاب أحمد، مرجع سابق، ص136.

(2)- المصدر نفسه: ص277.

(3)- مفاخر البربر: مصدر سابق، ص104.

(4)- نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص136.

(5)- مفاخر البربر: مصدر سابق، ص104.

(6)- **برغواطة:** دخل بلاد تامسنا رجل اسمه صالح ابن طريف، أصله من رباط الأندلس يهودي النسب، دخل إلى الإسلام ثمّ ارتدّ وادّعى النُبُوة، وأوجد ديانة جديدة لأتباعه البرغواطيين، وقد بلغت برغواطة من القوة والبأس إلى الحد الذّي وصفتها المصادر بأنّها بمملكة لهم عقائدهم المتطرفة منها، أنّهم يصومون رجب ويفطرون رمضان، ولهم خمس صلوات بالليل وخمس بالنهار، ينظر: صاحب الاستبصار، مصدر سابق، صص198-199، سحر السيد عبد العزيز سالم، من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993، صص8.7.

(7)- نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص136.

(8)- ابن خلدون: مصدر سابق، ج4، ص109.

(9)- أحمد مختار العبادي: في تاريخ ...، ص229.

وعندما عبر جعفر إلى الأندلس بجيشه نزل قصر العقاب، بعد أن أُعِدَّ له ما يصلح فيه، فاستوزره ابن أبي عامر، وعظم من شأنه وأحله محل الأخ في الشقة وقدّمه على الكفاة[1]، وأطلق المنصور علة هذه القوة المغربية الجديدة اسم جند الحضرة؛ أي جيش العاصمة، وأخذ يغدق عليهم بالأموال والنعم حتى صاروا له طِوَعًا لإرادته، وهكذا صار جيش الدولة مقسما إلى قسمين؛ الجيش المرابط في الثغور بقيادة غلب ابن عبد الرحمن، والجيش المرابط في العاصمة وعليه المنصور وجعفر ابن علي ابن حمدون[2].

الذّي كان يقود جيش الميمنة[3] في تلك المعكرة التّي دارت بين المنصور والقائد غالب الذّي لم تعجبه السياسة التّي يتبعها المنصور، وما زاده كرها هو استدعاء جعفر ابن علي من المغرب بقواته العسكرية، إذ وجد في ذلك تخطيط للقضاء عليه[4]، وبالفعل فقد تواجه الجيشان في معركة انتهت بوفاة غالب ابن عبد الرحمن[5]، وبذلك يكون المنصور قد تَخلص من العقبة التالية في طريقه.

وتدور الأحداث في المغرب الأقصى لتلقي بجعفر ابن علي في خضمها مرة أخرى، ففي عام **369هـ/ 979م** تقهقر الحلف الأموي (زناتة ويحي ابن علي) أمام اجتياح بكين ابن زيري[6]، حيث إنّ هذا الأخير عندما سمع بالخلافات والصراعات القائمة بالأندلس بين المنصور ووزرائه استغل هذه الفرص، وهز حملة عسكرية كبرى[7] نتج عنها حصار مدينة **سبتة**[8]، وطرد عمال

(1)- ابن عذارى المراكشي: مصدر سابق، ج2، ص278.

(2)- أحمد مختار العبادي: في تاريخ...، ص229.

(3)- ابن الخطيب: تاريخ اسبانيا...، ص64.

(4)- ابن عذارى المراكشي: مصدر سابق، ج2، ص279.

(5)- أحمد مختار العبادي: في تاريخ...، ص229.

(6)- نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص137.

(7)- ابن عذارى المراكشي: مصدر سابق، ج1، ص231.

(8)- **سبتة**: لطيفة على نهر البحر بها بساتين وأجنة، تقوم بأصلها وماؤها من أخلها يستخرج من آبارها، بهام عبن من خارجها أيضًا، وله مرسى قريب، وقد تقدّم بها معدن المرجان، وكانت تحت سلطة بني أميّة في أكثر الأوقات، ينظر: ابن حوقل، مصدر سابق، صص78،79.

بني أميّة عنها[1]. فشرع ابن أبي عامر في تجهيز جيش كبير سار به إلى الجزيرة الخضراء، وخرج معه جعفر ابن أبي علي ورجال الدولة، وحمل معه مائة حمل من المال معدودة، فأقام بالجزيرة وجوز جعفر ابن علي إلى سبتة في أُثَمِ قوة وأظهر عُدة[2]، وبعد أن رأى بكين هذه الإمدادات تراجع عن مدينة سبتة وتوجه إلى البصرة وخربها، وفي ذلك يقول ابن خلدون: <<**...لمّا عاين سبتة من مستشرفه ورأى اتصال المدد العدوة إلى معسكرهم بها قال: هذه أفعى فغرت فاها وكر راجعًا إلى عقبه...ورجع إلى البصرة وهدمها وكانت دار ملك ابن الأندلسي**>>[3].

من خلال ما ذكره ابن خلدون تتبادر إلى الذهن فكرة الانتقام، فرُبّما قصد بلكين تخريب مدينة البصرة معقل جعفر وأخوه يحي أبناء الأندلسي انتقامًا لمّا فعلاه زمن زيري ابن مناد، وتخليهما عن الفاطميين وإعلان الولاء للأمويين.

بعد أن نجح جعفر في إنقاذ المغرب الأقصى دون أن يدخل في معركة وصله أمر الحاجب المنصور بالعودة بقواته إلى الأندلس، وكان ذلك سنة **372هـ/ 982م**[4].

هنا نلاحظ مدى الحصر الذّي يُبديه المنصور على إبقاء جعفر ابن علي بالقرب منه، وهنا يعود المنصور لسياسة التخلص من منافسيه، فبعد أن تخلص من جعفر المصحفي ثمّ تخلص من غالب ابن عبد الرحمن، هاهو اليوم يُحاول التخلص من حليفه، والذّي يُعتبر مُنافسًا جديدًا له، وهو جعفر ابن علي ابن حمدون أكبر معين له على القائد غالب وعلى بلكين ابن زيري في المغرب[5].

هذه هي الأحداث التّي شارك فيها جعفر وأخوه يحي أبناء علي عصر المنصور ابن أبي عامر، وكانت كلّها أدوار عسكرية، وهو ما أدى بالمنصور إلى الضغط على جعفر للبقاء في الأندلس تحت ناضريه، هذا من جهة ومن جهة أخرى سوء العلاقة بين الأخوين في هذه الفترة

(1)- ابن أبي دينار: مصدر سابق، ص74، مفاخر البربر، مصدر سابق، ص106.
(2)- مفاخر البربر: المصدر السابق، ص106.
(3)- ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص207.
(4)- نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص137.
(5)- أحمد مختار العبادي: في تاريخ...، ص230.

فرضت على جعفر ذلك، فيا تُرى كيف سيتخلص المنصور من جعفر ابن حمدون؟ وإلى أين ستؤون أخبا ر هذه الأسرة في هذه المرحلة من تاريخهم؟

المبحث الثالث: نهاية أسرة بني حمدون

كما أشرنا أنّ المنصور ابن أبي عامر اتبع سياسة الغاية تُبرر الوسيلة، حيث كان يقضي على كل من يعترض طريقه للوصول إلى السلطة، حيث يقول أحمد مختار العبادي: << **كان المنصور آية من آيات اللّه في الدهاء والمكر والسياسة عدا بالمصاحفة (أي أعوان الحاجب المصحفي) على الصقالبة حتى قتلهم، ثمّ عدا بغالب على المصاحفة حتى قتلهم ثم عدا بجعفر الأندلسي على غالب حتى استراح منه، ثمّ عدا بنفسه على جعفر حتى أهلكه ثمّ انفرد بنفسه يُنادي سروف الدهر هل من مبارز؟**>>(1)، بينما ابن سعيد يقول: << **واستعان بعبد الرحمن التجيبي على جعفر...**>>(2)، حيث إنّ التجيبي هذا أقلقه وجود جعفر في حامية الملك فأخذ يوقع بين جعفر والمنصور ويُحرض بينهما، إلى أن قرر المنصور قتل جعفر، خاصة وأنّ تحركات جعفر المريبة واجتماعاته المثيرة للشكوك في بيته مع عساكره من البربر أصبحت مُرَاقَبَة من طرف عمال ووزراء جعفر المنصور، وخاصة من أبي يزيد محمد ابن جهور الذّي كان يوقع هو الآخر بين جعفر والمنصور(3)، وفي ذلك يقول ابن الأبار: << **...وهو الذّي أطلعه على أمر جعفر ابن علي الأندلسي صاحب المسيلة واختلاف البربر عليه بقصر العقاب**>> (4)، وكان المنصور حينما استقدم جعفر ابن علي ورفع خطة الوزارة ليُعارض به نفوذ القائد غالب ابن عبد الرحمن، وليوثق به مودة البربر وتأييدهم، وكان يتوجس من ذلك ومن وجوده وسلطاته، ويخشى إطماعه ومشاريعه من الناحية الأخرى من البحر، فما كان ينتهي من ترتيب رسومه الملكية حتى قرّر أمره، ودعاه

(1)- أحمد مختار العبادي: في تاريخ...، ص221.

(2)- ابن سعيد المغربي: مصدر سابق، ج1، ص202.

(3)- أحمد مختار العبادي: في تاريخ...، ص221.

(4)- ابن الأبار: مصر سابق، ج2، ص33.

ذات يوم إلى مأدبة حافلة[1]، وأعزى به السقاة حتى فقد وعيه، ثمّ دسّ عليه في طريقه إلى منزل عبد العزيز التجيبي لقتله وهو يغادر دعوة العشاء[2].

فقتله وأرسل إليه رأسه سرًا[3]، وكان إدعاء الحاجب المنصور الأسى والحزن على جعفر وتقريب أنصاره من بني برزال، وإغداق المناصب عليهم كانت كافية بأن ينأى بنفسه عن الشكوك[4].

عندما علم يحي بمقتل أخيه قرّر الذهاب إلى الأندلس، وبالفعل قابل المنصور ابن أبي عامر ولمح له باتهامه بقتل جعفر وكراهية بقائه بأرض الأندلس فقال: << **قد علمنا من قتله وهذا جزاء مثله، ولا مقام بأرضك بعده**>>[5]، فغضب المنصور من هذا الكلام وردّ عليه قائلاً: << **لولا أن أصدق ظنّك بأخيه لألحقتك به...فأخرج إلى لعنة اللّه غير مكلوء ولا مصاحب**>>[6]، وهنا قرّر يحي الرجوع إلى الفاطميين ولحق بهم إلى مصر[7]، وقد تناولت المصادر بعض الإشارات حول عبور يحي من الأندلس إلى مصر، فقرّر العبور من سلجماسة ثمّ سلك طريق الصحراء وصولاً إلى مصر، وذلك تفاديًا لملاقاة بلكين ابن زيري، حيث يقول الأبار في ذلك: << **وحذرًا من بلكين ابن زيري ابن مناد فسار إلى سلجماسة ثمّ ركب الصحراء إلى مصر**>>[8]، والملاحظ هنا أنّ يحي كان ينتظر الفرصة السانحة حتى يعود بولائه إلى الفاطميين، وما يُؤكد ذلك ندمه الذّي أبداه عندما كان في سجن المستنصر.

(1)- محمد عبد اللّه عنان: دولة ...، ص543.

(2)- ابن الخطيب: تاريخ اسبانيا...، ص65، نهلة شهاب أحمد، مرجع سابق، ص138.

(3)- أحمد مختار العبادي: في تاريخ...، ص543.

(4)- ابن خلدون : مصدر سابق، ج7، ص109، ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ج2، ص280.

(5)- ابن الأبار: مصدر سابق، ج1، ص307,.

(6)- نفسه.

(7)- ابن خلدون: مصدر سابق، ج4، ص109.

(8)- ابن الأبار: مصدر، ج1، ص307.

بعد انفصال بني حمدون عن الأمويين ولحاق يحي ابن علي وانحيازه إلى الفاطميين مجددًا، ولحق بمصر ونزل بدار **العزيز بالله الفاطمي**[1]، فأكرم نزله[2]، حيث يقول ابن خلدون في ذلك: **<<ونزل يحي بدار مصر، وتلقاه بالمسرة والتكريم>>**[3]، أما ابن الأبار فيقول: **<<وأدخله في زينة>>**[4]، عندما رأى يحي هذا الاستقبال والحفاوة من الخليفة الفاطمي اعتذر له عنّا بدر منه ومن أخيه من قطيعة، وبقائهم تحت رحمة الأمويين، مُعترفًا بخطئه طالبًا الصفح والإقامة[5]، فقبل اعتذاره مُوضحًا له أنّ المقولة التّي قالها في السجن زمن المنتصر شفعت له قائلا: **<< كلمتك بالزهراء قد أتت على ذلك كلّه>>** [6]، هذه الكلمة التّي تناولناها فيما سبق، والتّي عبّر فيها يحي عن ندمه لتفضيل بني أميّة على أولاد فاطمة بنت الرسول صلى اللّه عليه وسلم.

وفي سنة **390هـ/ 1000م** أرسله **الحاكم بأمر اللّه**[7] على رأس جيش لمساندة فلفول ابن خزرون في استرجاع طرابلس من أيدي **باديس ابن منصور الزيري**[8]، وعقد له على أعمال

(1)- **العزيز باللّه الفاطمي:** هو نزار أبو المنصور، وُلد بالمهدية يوم الخميس 14 محرم 344هـ، وولى العهد بمصر يوم الخميس 10 ربيع الثاني 366هـ، كان كريمًا شجاعًا حسن العفو عند المقدرة، اتسعت مملكته ووصلت الموصل في شمال العراق، تُوفي وهو مريض سنة 386هـ، وله اثنتان وأربعون سنة، أنظر: ابن خلكان، مصدر سابق، ج5، ص375، ابن حماد الصنهاجي، مصدر سابق، ص94.

(2)- نور الدين سعودي: مرجع سابق، ص236.

(3)- ابن خلدون: مصدر سابق، ج4، ص109.

(4)- ابن الأبار: مصدر سابق، ج1، ص307.

(5)- نفسه

(6)- نفسه.

(7)-**الحاكم بأمر اللّه:** أبو علي المنصور الملقب بالحاكم بأمر الله بن العزيز، ابن المنصور ابن القائم ابن المهدي، تولى الحكم في حياة أبيه، وذلك في شعبان **383هـ**، كان جوادًا بالمال، سفاكًا للدماء، قتل عددًا كبيرًا من عمال أهل دولته، وكانت سيرته من أعجب السير، يخترع كلّ يوم إحكامًا يحكم النّاس على العمل بها، منها أنّه أمر النّاس في **395هـ**، بكتب سب الصحابة على حيطان المساجد والشوارع، ثمّ أمر بقطع ذلك، ونهى عنه وعن فعله في سنة **397هـ**، تُوفي الحاكم سنة **411هـ/ 1020م**، أنظر: ابن خلكان، مصدر سابق، ج5، ص292، ابن حماد الصنهاجي، مصدر سابق، ص213.

(8)- **باديس ابن منصور الزيري:** هو أبو مناد باديس ابن منصور ابن بلكين ابن زيري وُلد ليلة الأحد ثلاث عشر من ربيع الأوّل سنة **374هـ** بأشير، تولى مملكة إفريقية نيابة عن الحاكم العبيدي في مصر كانت ولايته بعد أبيه، وكان باديس ملكًا كبيرًا حازم الرأي، شديد البأس إذا هزّ رُمحًا كسره، ولمّا تولى الحكم جاءته النّاس من كلّ ناحية بإفريقية للعزاء والتهيئة على الحكم، تُوفي في **406هـ**، ومع حروبه ضد عمه حماد، أنظر: ابن خلكان، مصدر سابق، ج1، ص265، ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ج1، ص247، ابن الخطيب، تاريخ المغرب...، ص72.

طرابلس وقابس[1]، وقد كان خروجه إلى طرابلس سنة **392هـ/1002م**[2]، وكان مع يحي ابن علي عند خروجه من المغرب جماعة من بني قرة، فكسروا عسكره ورجعوا إلى موضعهم[3]، ويبدوا أنّ يحي لم يثنه ذلك عن هدفه، فأراد استكمال مهمته المتمثلة في ضم قابس إليه، وجعلها تحت ولايته، وفي الوقت نفسه أكمل طريقه لغرض تزويد جيشه بالغنائم التّي سيحصل عليها وتعويض ما خسره مع قبائل بني قرة، فزحف إليها سنة **393هـ/1003م**[4]، لكن ما لبث أنعاد يحي إلى مصر بسبب قلة المال وسوء الأحوال[5]، فعاد يحي وأصحابه إلى مصر أقبح عَوْدٍ كما يقول المقريزي[6]، فأراد الحاكم قتله، فأظهر له كتاب زيدان الذّي رفض مساعدته في إعطائه المئونة للجند، وأنّه قبض ذلك من مال الحضرة، فلم يجد ما يُنفقه على العساكر، فقبل الحاكم هذا العذر، وقتل زيدان على فعلته[7]، وبقيّ يحي ابن علي في مصر إلى أن هُلك ومات[8]. وهذا ما يُؤكده ابن خلدون دون أن يمدنا بأي توضيحات أخرى عن حياته في مصر، ولا الفترة التّي تُوفي فيها، ولا حتى مكان وفاته بالضبط.

هكذا كانت نهاية آخر فرد من أفراد أسرة بني حمدون، هذا الأسرة التّي جاهدت من أجل البقاء، وكانت في كلّ مرة تتنازل بما تملكه من أجل البقاء، ولكن في كلّ مرة يحدث العكس، فهاهو جعفر ابن علي بعد كلّ الولاء الذّي أعطاه للفاطميين إلاّ أنّهم فضّلوا زيري ابن مناد على الحكم في المغرب، بعد ذلك حاول جاهدًا إرضاء بني أمية في الكثير من الانجازات، إلاّ أنّهم كافئوه بالقتل، ثمّ يرجع التاريخ ليرمي يحي ابن علي في أيدي الفاطميين الذّين رحبوا به، ولكن لم

(1)- نهلة شهاب أحمد: مرجع سابق، ص137، نور الدين سعودي، مرجع سابق، ص237.
(2)- ابن خلدون: مصدر سابق، ج4، ص75.
(3)- المقريزي: اتعاظ ...، ج2، ص35.
(4)- ابن عذارى المراكشي: مصدر سابق، ج1، ص256، ابن الأثير، مصدر سابق، ج8، ص25.
(5)- نور الدين مسعودي: مرجع سابق، ص237.
(6)- المقريزي: اتعاظ ...، ج2، ص35.
(7)- نفسه.
(8)- ابن خلدون: مصدر سابق، ج4، ص110.

يدم هذا الترحيب طويلاً إلى أن تُوفي يحي ابن علي، وهو يُجاهد في بلاد المغرب طامحًا في إحياء مكانته الأولى في ولاية برقة وطرابلس، لكن لم يتحقق ذلك.

خاتمة

من خلال دراستي لهذا الموضوع تم التوصل إلى النقاط التالية:

إنّ الاعتبارات المصلحية وضعت نهاية بني حمدون الذين اختاروا بأن يكونوا ورقة في حسابات القوى الكبرى المتنافسة في المغرب، فارتأوا في بداية المشوار الطريق الفاطمي أملا منهم في تحقيق ما يصبون إليه، ثمنا لما قدموه من جهود وخدمات للخلافة الفاطمية، إلا أن خطأ حساباتهم وافتقارهم لمنظور سياسي يتقبل مرونة وقتية في المواقف، كاد يقضي عليهم، مما دفعهم إلى إعادة النظر في حساباتهم وولاءاتهم، فلم يكن أمامهم سوى الخيار الثاني وهو الخلافة الأموية، ملاذا لهم لإعادة اعتبارهم، ورغبة منهم في الحصول على ما لم يتمكنوا من الحصول عليه من الخلافة الفاطمية، وتطلعات أسرة أرادت أن يكون لها شأن من خلال تأرجحها في مواقفها من القوى الكبرى.

إن الأهمية التي تتمتع مدينة المسيلة من الناحية العسكرية والتحصين الجغرافي لها، هو ما دفع بمؤسسها أبي القاسم الفاطمي إلى اتخاذها كقاعدة أمنية توفر المؤن للجيوش الفاطمية، من اجل إخماد الثورات التي واجهتها خاصة مع قبيلة زناتة، كما اعتبرت هذه المدينة سدًّا منيعًا أمام هذا الخطر الذي لطالما هدد الاستقرار الفاطمي في المنطقة، بالإضافة إلى الدور الكبير الذي لعبته في الوقوف ضد ثورة أبي يزيد، هذه الثورة التي راح ضحيتها أحد أهم قادة وأسر بني حمدون وهو علي ابن حمدون.

اعتبرت مدينة المسيلة حاضرة للعلم والعلماء عهد أسر بني حمدون، وذلك راجع للسياسة التي اتبعها علي ابن حمدون في البداية، ثن ابنيه جعفر ويحيى من جلب أصحاب العلم والحرف والصنائع إليها، جعلها تتمتع بمكانة مرموقة بين حواضر بلاد المغرب مثل القيروان والمهدية وفاس، فأصبح يقصدها العلماء والشعراء من مختلف أنحاء المغرب الإسلامي.

إن القرار الذي اتخذه الفاطميون في تولية زيري ابن مناد على بلاد المغرب ورحيلها إلى مصر، أزعج كثيرا جعفر وأخاه يحيى، فقد كانا يطمحان إلى حكم بلاد المغرب كافة، وذلك راجع إلى مجموعة اعتبارات منها، الدور العظيم الذي قام به والدهما فيما سبق، بالإضافة إلى أن جعفر يعتبر أخا بالرضاع مع المعز الفاطمي، وبهذا القرار الذي لم يتوقعه، قرر تغيير ولائه إلى أعداء الفاطميين في الضفة الأخرى من البحر وهم الأمويين، تاركا ورائه أحلامه وطموحاته، والإمارة التي حارب من اجلها.

إن السبب الحقيقي والجوهري لقطيعة بني حمدون مع الفاطميين هو ذلك التنافس الشديد الذي كان بين زيري ابن مناد وجعفر ابن حمدون، هذا التنافس الذي بلغ حدة الكره والضغينة حيث أن زيري كان دائما يحاول التقرب إلى الفاطميين على حساب جعفر وأخاه، وأن يغطي دائما على الدور الذي يلعبه جعفر ابن حمدون، ما أدى بهذا الأخير إلى التحالف مع قبائل زناتة من أجل القضاء عليه.

إنّ الآمال التي وضعها جعفر وأخاه يحيى مع الأمويين كانت عظيمة، لكن لم يتحقق ذلك، فالنكبة التي تعرض لها الأخوان عهد الحكم المستنصر كانت بسبب أحلامهم وطموحاتهم، وتنامي مركزهم ومكانتهم في الأندلس، وهو ما أزعج الخليفة المستنصر، وأمر بزجهم في السجن.

إن السياسة التي اتبعها الحاجب المنصور كانت وراء مقتل جعفر ابن علي، هذا الأخير الذي اعتبر نفسه حليفا للمنصور، لكن المنصور غدر به وتخلص منه لأنه كان يعتبره أكبر منافس له على السلطة، وعندما رأى يحيى ما حدث لأخيه فرّ هاربا، ورجع للفاطميين في مصر، حلفائهم الأوائل، في هذه المرحلة بدأت ملامح هذه الأسرة بالاختفاء، فلم تدون المصادر والمراجع الكثير عنها، ماعدا الدور الذي قام به يحيى لصالح الفاطميين في مصر وهو محاولة استرجاع مدينة طرابلس من الزيريين، لكنه فشل ما جعل الخليفة الفاطمي يهدده بالقتل.

وأخيرًا يمكن القول أن أسرة بني حمدون منذ توليهم الحكم سنة 315هـ/927م إلى غاية نهايتهم، قد لعبوا خلالها دورا سياسيا وعسكريا وحضاريا بارزا في المغرب والأندلس.

ملاحق

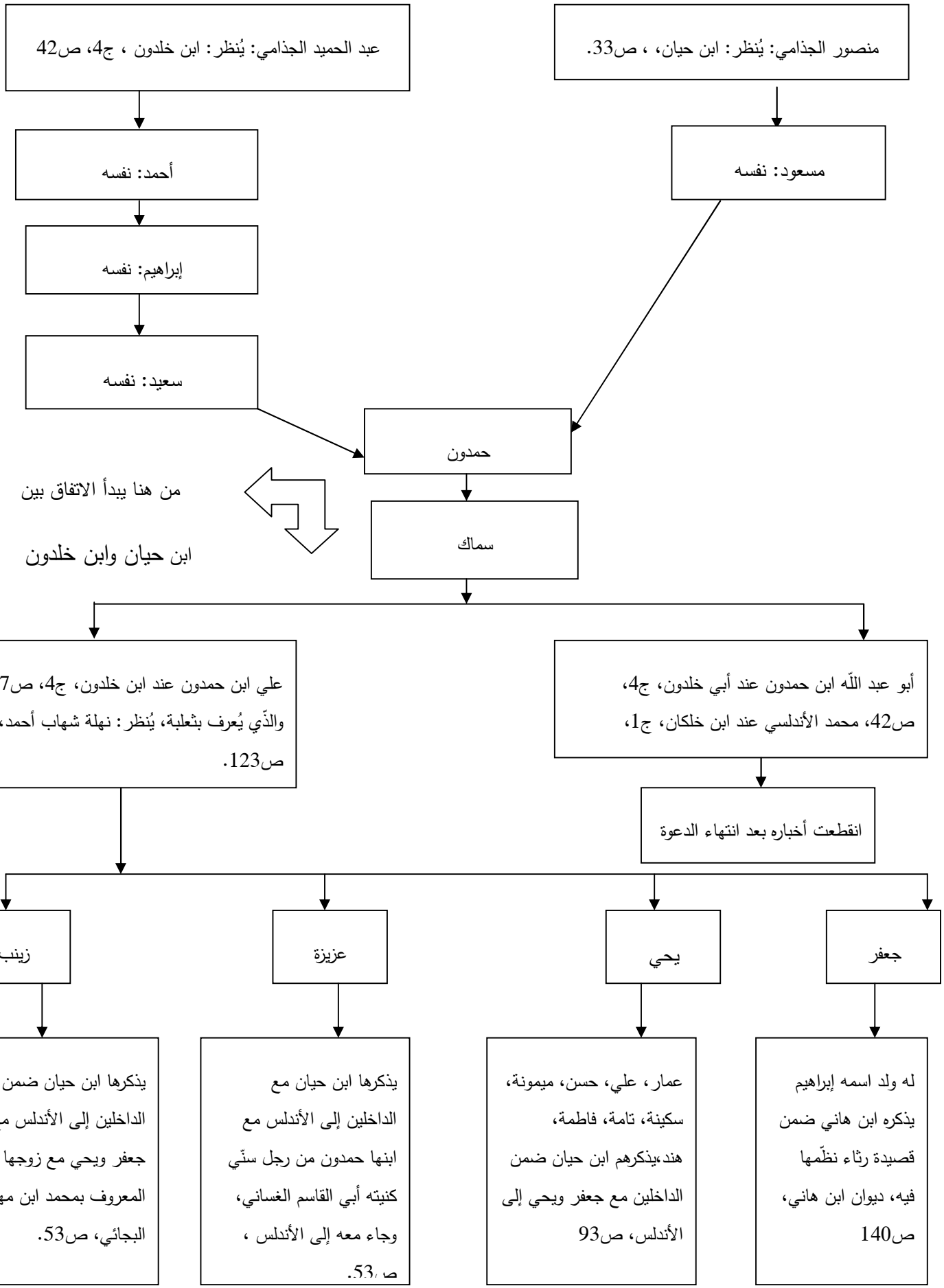
منصور الجذامي: يُنظر: ابن حيان، ، ص33.
عبد الحميد الجذامي: يُنظر: ابن خلدون ، ج4، ص42
مسعود: نفسه
أحمد: نفسه
إبراهيم: نفسه
سعيد: نفسه
حمدون
من هنا يبدأ الاتفاق بين
ابن حيان وابن خلدون
سماك
أبو عبد اللّه ابن حمدون عند أبي خلدون، ج4، ص42، محمد الأندلسي عند ابن خلكان، ج1،
علي ابن حمدون عند ابن خلدون، ج4، ص107، والذّي يُعرف بثعلبة، يُنظر: نهلة شهاب أحمد، ص123.
انقطعت أخباره بعد انتهاء الدعوة
جعفر
يحي
عزيزة
زينب
له ولد اسمه إبراهيم يذكره ابن هاني ضمن قصيدة رثاء نظّمها فيه، ديوان ابن هاني، ص140
عمار، علي، حسن، ميمونة، سكينة، تامة، فاطمة، هند،يذكرهم ابن حيان ضمن الداخلين مع جعفر ويحي إلى الأندلس، ص93
يذكرها ابن حيان مع الداخلين إلى الأندلس مع ابنها حمدون من رجل سنّي كنيته أبي القاسم الغساني، وجاء معه إلى الأندلس ، ص53.
يذكرها ابن حيان ضمن الداخلين إلى الأندلس مع جعفر ويحي مع زوجها المعروف بمحمد ابن مهنى البجائي، ص53.

ملحق رقم 2: خريطة جغرافية تُوضح التوزيع القبلي لبلاد المغرب الإسلامي

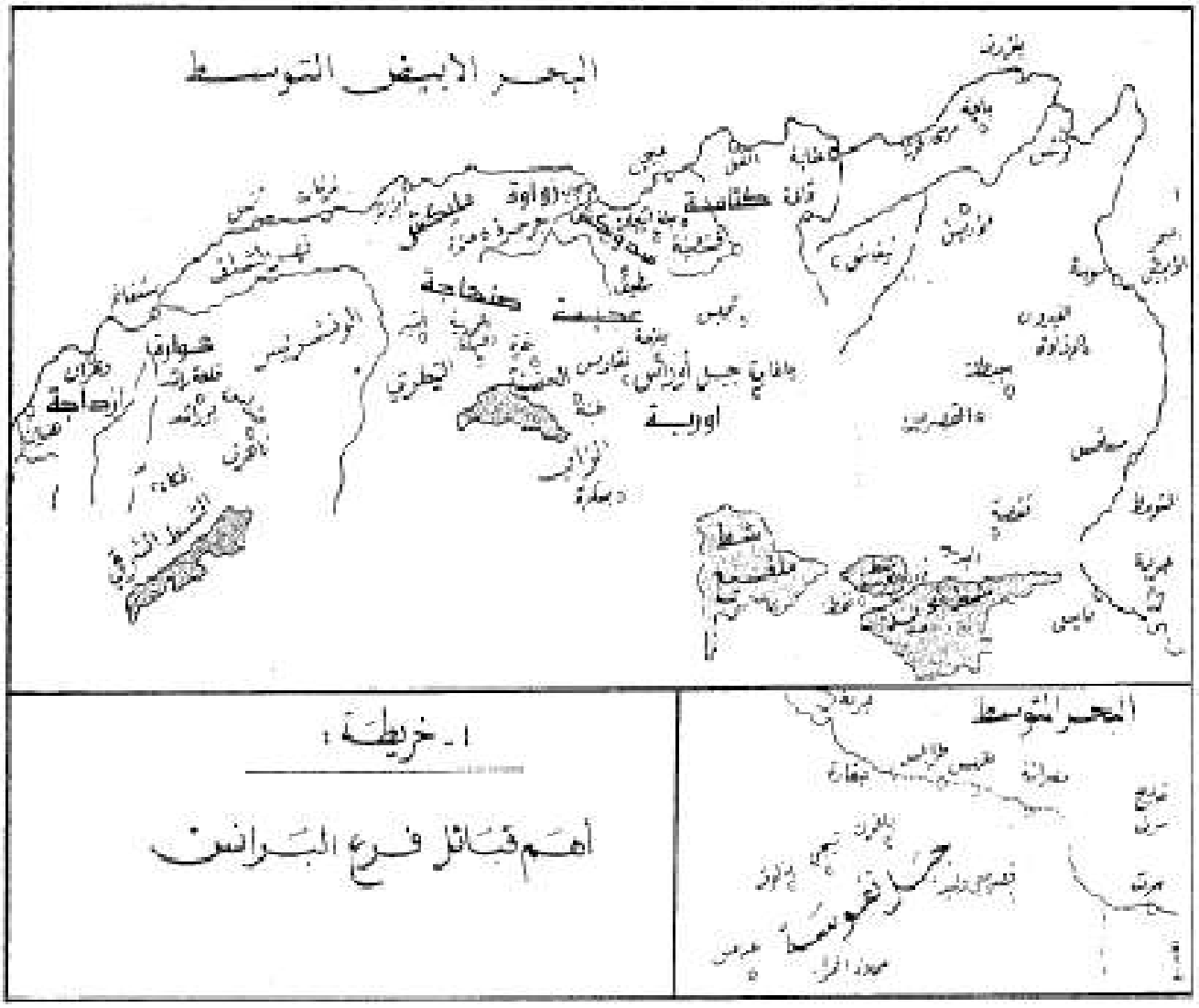

- موسى لقبال،: المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للتوزيع، ط2، الجزائر، 1954، ص204.

ملحق رقم 3: خريطة جغرافية تُوضح موقع مدينة المسيلة

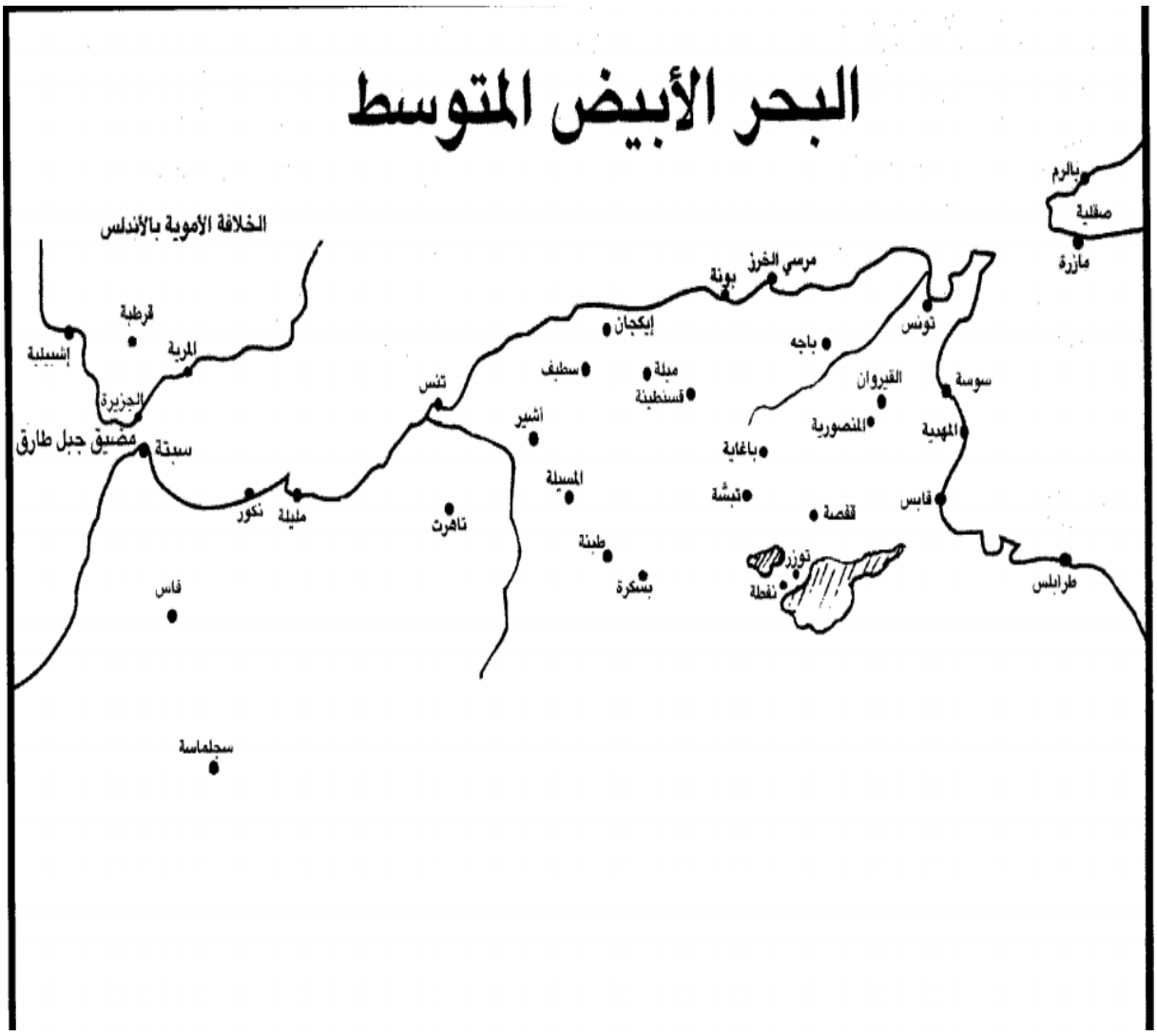

- محمد سهيل طقوش،: مرجع سابق، ص529.

ملحق رقم 4: خريطة جغرافية تُوضح موقع مدينة المسيلة بالنسبة لثورة أبي يزيد

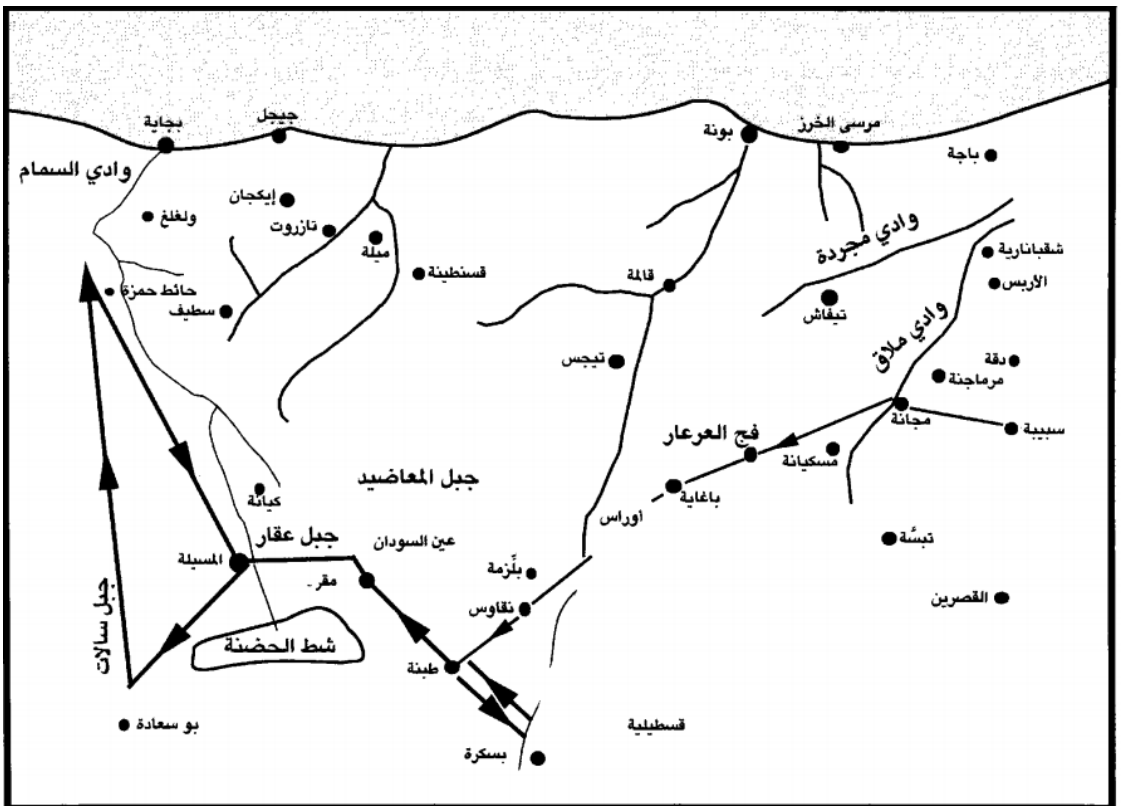

- محمد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص528.

ملحق رقم 5: جدول يُوضح أهم شخصيات أسرة بني حمدون وأهم أعمالهم

اسم الشخصية	أهم المحطات والأعمال
عبيد اللّه الأندلسي "محمد بن حمدون"	كان له دور في نشر المذهب الإسماعيلي في بلاد المغرب بين قبائل كتامة، حيث صحب أبا عبد اللّه الشيعي في رحلته إلى الحج، وعند رجوعه إلى بلاد المغرب، يُنظر: القاضي النعمان، مصر سابق، ص40. وعند وصولهم إلى بلاد المغرب استضاف عُبيد اللّه الأندلسي أبو عبد اللّه الشيعي ليلة كاملة انتهت بأن أعلم الداعية الشيعي مُضيفه بحقيقة الغرض الذّي جاء من أجله إلى المغرب، وناله شرف كشف الأمر، يُنظر: فرحات الدشراوي، مرجع سابق، ص84، الداعي إدريس، مصدر سابق، ص86. يُعتبر عُبيد اللّه الأندلسي اليد اليُمنى للداعي الشيعي مُلازمًا له في رحلته وحافظًا لسيرته، وحاملاً لعهد الدعوة وصاحبه في رحلته إلى كتامة، يُنظر: ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص45.
علي ابن حمدون	ترأس الجماعة التّي بعث بها أبو عبد اللّه الشيعي إلى المشرق، وبالضبط إلى عُبيد اللّه المهدي ليُخبره ويُطلعه على آخر الأخبار التّي آلت إليها الدعوة في بلاد المغرب، ويدعوه إلى المجيء، يُنظر: نهلة شهاب أحمد، مرجع سابق، ص124. كُلّف علي ابن حمدون بمهمة مراقبة الطريق والأخطار المحدقة بعُبيد اللّه المهدي وابنه أبو القاسم، والمتمثلة في خطر الأغالبة وقد نجح في ذلك، حيث وصلته أخبار مفادها أنّ الأغالبة يترصدون للمهدي وابنه، فأعلم هذا الأخير بما سمعه، فقرّر تغيير الطريق، يُنظر:

	فرحات الدشراوي، مرجع سابق، ص175. ومن أجل هذا الدور نجد أنّ حُكام الدولة الفاطمية قد عملوا على تقريبه ومنحه أعلى المناصب في الدولة، حتى أنّ عُبيد الله المهدي قد عدّه في مقام ابنه، وأمر بتربية أبنائه جعفر ويحي في البلاط الفاطمي، يُنظر: نهلة شهاب أحمد، مرجع سابق، ص124. قاد في العديد من المرات الجيوش الفاطمية المحاربة لقبيلة زناتة، وكان في أغلب الأحيان يُشتتهم ويُلحق بهم الهزيمة، فيضطرون إلى الرجوع إلى حلفائهم الأمويين، يُنظر: السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص547. ولاه الخليفة الفاطمي على كافة إقليم الزاب وأمره ببناء مدينة المسيلة لتكون بمثابة السد في وجه الزناتيين، كما منحه حق توارث الحكم في أبنائه، يُنظر، بوبة مجاني، النظم الإدارية في بلاد المغرب، ص96. كُلّف بقيادة الجيش لمواجهة الثائر في بلاد المغرب أبي يزيد، أين تُوفي هناك سنة 334هـ/ 945م، يُنظر: مبارك الميلي، مرجع سابق، ص644.
جعفر ابن علي	عينه الخليفة الفاطمي بعد وفاة أبيه على كافة اقليم الزاب بحكم مدينة المسيلة، وأذن لأخيه يحي بالبقاء معه، يُنظر: صالح بن قربة، مرجع سابق، ص27. أول مهمة تولاها هي قيادة ميمنة جيش المنصور الفاطمي أين أبلى بلاءً حسنًا، حيث انتهت المعركة بأن فرّ أبي يزيد إلى أعالي الجبال، وبعدها استضاف جعفر الخليفة الفاطمي أكثر من أسبوعين في المسيلة، يُنظر: فرحات الدشراوي، ص294. بلغت المسيلة في عهده الغاية القصوى من التطور في كافة

	المجالات، كما أصبحت عاصمة للزاب ومركزا أدبيا وثقافيا هاما في المغرب، وساهم في ذلك شخصية علي وأبناءه، والاهتمام بالعلم والأدب، وبذلك أصبح البلاط الحمدوني مأوى لطلبة العلم، كما أصبحت المسيلة حاضرة من حواضر بلاد المغرب الكبرى، يُنظر: رابح بنار، مرجع سابق، ص168. كان دائم العداء مع حليف الفاطميين زيري ابن مناد، بسبب ارتفاع مكانة زيري لدى الفاطميين، حيث كانت مكانة جعفر في تراجع وكان يشعر بغيض شديد، هذا بالإضافة إلى تدخل زيري المستمر في شؤون إقليم الزاب، يُنظر: ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص107، الهادي روجي إدريس، مرجع سابق، ج1، ص64. تحالف مع الزناتيين من أجل القضاء على زيري ابن مناد، حيث كانت زناتة موالية للأمويين، فقد عمل جعفر على إيصال الأخبار إليهم في حال قرّر زيري محاربتهم أو الهجوم عليهم فجأة، لكن زيري كشف هذه المواصلات وأخبر الخليفة الفاطمي عنها، ما أدى بغضبه وطلب منه القدوم إليه، لكن جعفر قرّر الفرار مُتجها للأمويين في الأندلس، يُنظر، ابن حيان، مصدر سابق، ص35، مفاخر البربر، مصدر سابق، ص96. استقبله الحكم المستنصر بحفاوة، وامر صاحب اشبيلية للخروج لاستقباله، لكن هذه الفرحة لم تدم طويلا، فسرعان ما تغيرت معاملة المستنصر لجعفر واخوه يحيى خاصة بعدما دخلا للسجن بأمر من الخليفة المستنصر، وتذكر المصادر الأسباب، ابن خلدون يقول أنهما تخطيا حدود الأدب مع الخليفة، بينما ابن الأبار يقول أن هناك من سعى لإفساد العلاقة بينهم، ويذكر الداعي ادريس أن الخليفة قرر تجريد الأخوان من عبيدهما وهو ما أزعج جعفر،ينظر: ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص109، ابن الأبار، مصدر سابق، ج1، ص306،

	الداعي ادريس، مصدر سابق، ص 730. بعد عدة أشهر تشفع لهما الوزير منذر ابن سعيد البلوطي فأطلق سراحهما، فأمر بولايتهما على منطقة المغرب الأقصى بالأخص البصرة، وأباح لهما ما افتتحاه من البلاد المغربية، ينظر: ابن الأبار، مصدر سابق، ص306، مفاخر البربر، مصدر سابق، 103. توفي عهد المنصور ابن عامر، فقد كان هذا الأخير يتخلص من كل منافس له على السلطة، فأعتبر جعفر من بينهم، فدعاه إلى مؤدبة غداء، وأغدق عليه بالشراب، وفي طريقه إلى منزله بعث له عبد العزيز التجيبي فقتله وأرسل رأسه إلى المنصور، يُنظر: محمد عبد اللّه عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص543، ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الإسلامية، ص65، أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص543.
يحي ابن علي	كان مُرافقا لأخيه في جميع المحطات السابقة. وبعد أن سمع بمقتل أخيه قرّر الرجوع إلى الفاطميين ولحق بهم إلى مصر، ونزل بدار العزيز الفاطمي، فكرمه ونزّله بالمسرة والتكريم، وبيّن له أنّ الكلمة التّي قالها في سجن المستنصر هي من تشفعت له، والتّي عبّر فيها عن ندمه وتفضيله لبني أميّة عن أبناء فاطمة رضيّ اللّه عنها، يُنظر، ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص109، ابن الأبار، مصدر سابق، ج1، ص307. وعيّنّه الحاكم بأمر اللّه الفاطمي على رأس حملة لمساندة فلفول ابن خزرون في استرجاع طرابلس من أيدي باديس ابن منصور الزيري، وعقد له على أعمال طرابلس، يُنظر، نهلة شهاب أحمد، مرجع سابق، ص137، نور الدين مسعودي، مرجع سابق، ص237. وقد أخفق يحي في المهمة التّي كُلّف بها فهدده الحاكم الفاطمي

	بالقتل، لكن تراجع في آخر لحظة، وبقي يحي في مصر تحت مراقبة الفاطميين إلى أن هُلك هناك دون أن تُدون لنا المصادر تاريخ وفاته بالضبط، يُنظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص35، اين خلدون، مصدر سابق، ج4، ص110.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1- ابن الأبار: أبي عبد الله محمد ابن عبد الله ابن أبي بكر القضاعي(ت657هـ/1260م)، **الحلة السيراء**، تح حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985، ج1. 2.

2- ابن أبي دينار: محمد ابن أبي القاسم(1101هـ/1690م)، **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286.

3- ابن الأثير: أبي الحسن علي ابن أبي كرم محمد ابن عبد الكريم(ت630هـ/1233م)، **الكامل في التاريخ**، تح محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ج6. 7.

4- البردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغري البردي الأتابكي(874هـ/1469م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، دار الكتب للنشر، القاهرة، (د.س)، ج4.

5- البغدادي: عبد القاهر بن محمد(ت429هـ/1037م)، **الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم عقائد الفرق الإسلامية وآراء كبار أعلامها**، تح محمد عثمان الخشن، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، مصر، (د.س).

6- البكري: أبي عبيد الله(ت487هـ/1094م)، **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.س).

7- الجوذري: أبي علي منصور ألعزيزي(عاش في القرن الرابع هجري)، **سيرة الأستاذ جوذر**، تح محمد كمال حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، مصر،(د.س).

8- ابن الجوزي: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمان ابن علي ابن محمد(ت597هـ/1201م)، **تلبيس إبليس**، تعليق زيد ابن محمد بن هادي المدخلي، دار المنهاج، القاهرة، 2009.

9- ابن حزم: أبي محمد علي بن احمد بن سعيد الأندلسي(ت456هـ/1064م)، **جمهرة انساب العرب**، تح عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط5، القاهرة، (د.س).

10- الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت ابن عبد الله البغدادي(ت626هـ/1229م)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1987، ج1، 4، 7.

11- الحميري: أبي عبد الله محمد ابن عبد الله ابن عبد المنعم(ت900هـ/1495م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1985.

12- ابن حوقل: أبي القاسم النصيبي(ت367هـ/977م)، **صورة الأرض**، دار صادر، بيروت، 1938.

13- ابن حيان: أبي مروان القرطبي(ت496هـ/1076م)، **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**، تح عبد الرحمان علي حجي، دار الثقافة، بيروت، 1965.

14- ابن الخطيب: لسان الدين أبو عبد الله محمد ابن عبد الله(ت776هـ/1374م)، **تاريخ اسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تح ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط2، بيروت، 1956.

15- ـــــــ: **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الخاص من كتاب أعمال الأعلام**، تح احمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتب للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1964.

16- ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمان ابن محمد(ت808هـ/1405م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح ومراجعة خليل شحاتة وسهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، 2001، ج2.3.4. 6. 7.

17- ابن خلكان: أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت681هـ/1282م)، **وفيات الأعيان وأبناء الزمان**، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978، ج1 .4 .5.

18- الداعي إدريس: عماد الدين(ت872هـ/1467م)، **تاريخ الخلفاء الفاطميين القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار**، تح محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1985.

19- الإدريسي: ابن عبد الله محمد ابن عبد الله ابن إدريس الحسيني(ت559هـ/1164م)، **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، مكتبة الثقافة الدينية بورسعيد، مصر،(د.س).

20- الذهبي: شمس الدين محمد ابن احمد ابن عثمان(ت847هـ/1443م)، **سير أعلام النبلاء**، تح سعيد ارناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط2، 1982، ج15 .16.

21- الزبيدي: محمد ابن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الحسيني(ت1205هـ/1790م)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تح عبد السلام محمد هارون، مطبعة التراث العربي، الكويت، 1994، ج8.

22- ابن أبي زرع الفاسي: الحسن علي ابن عبد الله(ت بعد 726هـ/1325م)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.

23- الزهري: أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر(توفي أواسط القرن السادس هجري/ الثاني عشر ميلادي)، **كتاب الجغرافية وما ذكرته الحكماء من العمارة وما في كل جزء من الغرائب والعجائب تحتوي على الأقاليم السبعة وما في الأرض من أميال وفراسخ**، تح محمد حاج صادق، مكتبة الثقافي الدينية للنشر، الجيزة، (د.س).

24- بن سعيد المغربي: أبو الحسن علي ابن موسى(ت685هـ/ 1286م)، **المغرب في حلى المغرب**، تح شوقي ضيف، دار المعارف، ط4، القاهرة، (د.س)، ج1.

25- السلاوي: أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري (ت1315هـ/ 1879م)، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، دار الكتاب، (د-ب)، (د-س)، ج1.

26- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمان ابن أبي بكر(ت911هـ/1505م)، **تاريخ الخلفاء**، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، 2003.

27- الشهرستاني: أبي الفتح محمد ابن عبد الكريم(ت548هـ/1153م)، **الملل والنحل**، تعليق احمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1992.

28- الصنهاجي: علي ابن حماد أبي عبد الله محمد ابن علي(ت628هـ/1231م)، **أخبار ملوك بني عبيد**، تح التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار العدالة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.س).

29- ابن الصيرفي: أبي القاسم علي ابن منجب(ت542هـ/1147م)، **الإشارة إلى من نال الوزارة**، تح عبد الله مخلص، خزانة الكتب، بيت المقدس، (د-س)، ج1.

30- ابن علي المراكشي: محمد عبد الواحد(ت669هـ/1270م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح صلاح الدين الصواري، المكتبة المصرية، بيروت،2006.

31- ابن عذارى المراكشي: أبو العباس احمد ابن محمد(ت712هـ/1312م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط2، بيروت، 1980، ج1 .2.

32- ابن الفرضي: عبيد الله ابن محمد الأزدي(ت403هـ/1013م)، **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس**، تح عزت العطار الحسيني، مطبعة المدني، ط2، مصر، 1980، ج1.

33- القاضي النعمان: أبي حنيفة ابن محمد التميمي المغربي(ت363هـ/974م)، **افتتاح الدعوة**، تح فرحات الدشراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986.

34- القلقشندي: أبو العباس احمد ابن علي(ت821هـ/1418م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1914، ج5.

35- ابن الكردبوس: أبو مروان عبد الملك التزري(توفي في القرن السادس هجري/الثاني عشر ميلادي)، **الاكتفاء في أخبار الخلفاء**، تح صالح بن عبد الله الغامدي، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، 2008.

36- مجهول: **تاريخ الأندلس**، تح عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، لبنان، 2007.

37- مجهول:(عاش في القرن السادس هجري/ الثاني عشر ميلادي)، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب**، تعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د.س).

38- مجهول: **مفاخر البربر**، تح عبد القادر بوباية، دار أبي قراق للطباعة والنشر، الرباط، 1986.

39- المقري: الشيخ احمد بن محمد التلمساني(ت1041هـ/1632م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.س)، ج1.

40- المقريزي: تقي الدين احمد بن علي(ت645هـ/1247م)، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تح جمال الدين الشيال، القاهرة، وزارة الأوقاف للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة التراث الإسلامي، ط2، 1996، ج1.

41- ـــــــ : **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، دار صادر، بيروت، ج1، (د-س).

42- النويري: شهاب الدين احمد ابن عبد الوهاب(ت733هـ/1333م)، **نهاية الأرب في فنون العرب**، تح عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.س)، ج24.

43- ابن هاني: محمد ابن سعدون الأزدي الأندلسي(ت361هـ/973م)، **ديوان ابن هاني الأندلسي**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1980.

44- الونشريسي: أبي العباس احمد ابن يحيى(ت914هـ/1508م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ج2.

45- اليعقوبي: احمد ابن أبي يعقوب إسحاق ابن جعفر ابن وهب(ت274هـ/887م)، **البلدان**، توضيح الحواشي محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.س).

ثانيا: المراجع

46- حمد حسن خضيري: **علاقات الفاطميين بمصر بدول المغرب(362هـ-567هـ/973-1171م)**، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د.س).

47- احمد نهلة شهاب: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، دار الكتب العلمية، لبنان، 1971.

48- إدريس الهادي روجي: **الدولة الصنهاجية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م**، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ج1 .2.

49- إسماعيل عبد الرزاق محمود: **الخوارج في بلاد المغرب**، دار الثقافة، ط2، فاس، 1985.

50- إسماعيل محمود: **الأدارسة(172-375هـ) حقائق جديدة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991.

51- بورويبة رشيد وآخرون: **الجزائر في تاريخ العهد الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

52- بونار رابح: **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، 1981.

53- تامر عارف: **المعز لدين الله الفاطمي واضع أسس الوحدة العربية الكبرى**، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1972.

54- التهامي إبراهيم: **جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة دراسة في الصراع العقدي في المغرب العربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005.

55- الثعالبي عبد العزيز: **تاريخ شمال إفريقيا من الفتح إلى غاية نهاية الدولة الأغلبية**، جمع وتحقيق احمد بن ميلاد ومحمد إدريس، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1990.

56- جمال الدين عبد الله محمد: **الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع هجري مع عناية خاصة بالجيش**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991.

57- الجنحاني الحبيب: **المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية**، الدار التونسية، تونس، 1978.

58- الجيدي عمر: **محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي**، مطبعة النجاح الجديدة، (د.ب)، 1987.

59- حسن حسن إبراهيم: **تاريخ الدولة الفاطمية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.س).

60- حسن حمدي عبد المنعم محمد: **دراسات في التاريخ الإسلامي، دولة بني برزال في قرمونة(404-459هـ/1013-1067م)**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية،1990.

61- حمود سوزي: **الفاطميون والزنكيون والأيوبيون والمماليك وصراعهم حول السلطة في المشرق العربي(362-923هـ/973-1517م)**، مراجعة عصام شبارو، دار النهضة، لبنان، 2010.

62- عبد الحميد سعد زغلول: **تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام دولة المرابطين**، دار المعرف، مصر، 1990، ج3.

63- حوالة يوسف بن احمد: **الحياة العلمية في افريقية منذ الفتح وحتى منتصف القرن الخامس هجري(90-450هـ)**، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، 2000.

64- الخربوطلي علي حسني: **أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية**، المطبعة الفنية الحديثة، (د.ب)، 1972.

65- الدراجي بوزيان: **القبائل الأمازيغية أدوارها- مواطنها وأعيانها**، (د.د)، (د.ب)، 2010.

66- الدشراوي فرحات: **الخلافة الفاطمية بالمغرب(296-365هـ/909-975م) التاريخ السياسي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994.

67- الرازي فخر الدين: **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، مراجعة علي سامي النجار، دار الكتب العلمية، لبنان، 1982.

68- رضا محمد: **ذي النورين عثمان ابن عفان الخليفة**، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.س).

69- رمضان يمنى: **أصحاب الخبر والعيون في العصر الفاطمي(297-567هـ/909-1171م)**، كلية الآداب، الفيوم.

70- الزركلي خير الدين، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين**، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، 2002، ج2.

70- زيدان يسرى: **المصادر التاريخية الشيعية للفاطميين بالمغرب(296-362هـ/909-972م) دراسة تحليلية نقدية**، دار العلوم، القاهرة، (د-س).

71- سالم سحر السيد عبد العزيز: **من جديد حول برغواطة هراقطة المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993.

72- سالم السيد عبد العزيز: **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1999.

73- سيد اسمن فؤاد: **الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد**، الهيئة المصرية، القاهرة.

74- سرحاني راغب: **قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط**، مؤسسة اقرأ للنشر، القاهرة، 2011، ج1،.

75- سرور محمد جمال الدين: **الدولة الفاطمية قيامها في بلاد المغرب وانتقالها إلى مصر نهاية القرن الرابع هجري مع عناية خاصة بالجيش**، دار الثقافة، القاهرة، 1991.

76- شبارو عصام محمد: **الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود(91-897هـ/710-1492م)**، دار النهضة العربية، بيروت، 2002.

77- طالبي محمد: **الدولة الأغلبية التاريخ السياسي**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، (د-س).

78- طقوش محمد سهيل: **تاريخ الفاطميين في افريقية ومصر وبلاد الشام**، دار النفائس، ط2، لبنان، 2007.

79- طه جمال احمد: **مدينة فاس عصري المرابطين والموحدين دراسة سياسية اقتصادية**، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2001.

80- العبادي احمد مختار: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د.س).

81- ـــــــ: **في التاريخ العباسي والفاطمي**، دار النهضة العربية، بيروت، (د.س).

82- ـــــــ: **في تاريخ المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د.س).

83- عبيد عروبة حاتم: **قبيلة زناتة وموقفها من قيام الدولة الفاطمية في المغرب(97-322هـ/909-943م).**

84- بوعبدلي المهدي: **تاريخ المدن**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

85- العزاوي عبد الرحمان حسين: **المغرب العربي في العصر الإسلامي**، دار الخليج للنشر والتوزيع، الأردن، 2011.

86- العسلي بسام: **الحاجب المنصور**، دار النفائس، ط2، بيروت، 1983.

87- عمارة محمد: **قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية**، دار الشروق، بيروت، 1993.

88- بن عميرة محمد: **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، دار المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

89- عنان محمد عبد الله: **تراجم إسلامية شرقية وأندلسية**، مكتبة الخانجي للنشر، ط2، القاهرة، 1970.

90- ـــــــ: **دولة الإسلام في الأندلس الخلافة الأموية والدولة العامرية**، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 1997.

91- عويس عبد الحليم: **دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، 1991.

92- الفقي عبد الرؤوف: **تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة النهضة، القاهرة، (د-س).

93- فيلالي عبد العزيز: **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.

94- قجة محمد: **المنصور الأندلسي**، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 1984.

95- بن قربة صالح: **تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي دراسة تاريخية اثرية**، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009.

96- كحيل عبادة: **تاريخ النصارى في الأندلس**، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، 1993.

97- لقبال موسى: **المغرب الإسلامي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1951.

98- لطفي نجلاء: **الفرق والمذاهب والجماعات الإسلامية القديمة**، مراجعة آمنة نصير، كلية الدراسات الإسلامية، (د.ب)، (د.س).

99- لقصير عز الدين: **ابن حوشب والحركة الفاطمية باليمن**، دار الينابيع للطباعة والنشر، دمشق،(د.س).

100- ماجد عبد المنعم: **تاريخ الخلافة الفاطمية**، دار الفكر، عمان، 2011.

101- ـــــــ: **ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر التاريخ السياسي**، دار الفكر العربي، ط4، القاهرة، 1994.

102- مجاني بوبة: **من قضايا التاريخ الفاطمي في دورة المغربي**، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

103- ـــــــ: **النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي(296-362هـ/909-973م)**، دار بهاء الدين، الجزائر، 2009.

104- المدني احمد توفيق: **تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا وجغرافيتها الطبيعية والسياسية وعناصر سكانها وتدينها ونظاماتها وقوانينها ومجالسها وحالتها الاقتصادية والاجتماعية**، دار المطبعة العربية،(د.ب)، (د.س).

105- مرغي جاسم عثمان: **الشيعة في شمال إفريقيا من موسوعة الشيعة في العالم**، مؤسسة البلاغ للنشر والتوزيع، دمشق، 2004.

106- مسعد سامية مصطفى: **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية(300-399هـ/912-1008م)**، دار عين للدراسات، مصر، 2000.

107- المعتق عواد عبد الله: **المعتزلة وأصولها الخمسة وموقف أهل السنة منها**، مكتبة الرشد، الرياض، 1995.

108- بن منصور عبد الوهاب: **قبائل المغرب**، المطبعة الملكية، الرباط، 1968، ج1.

109- الميلي مبارك: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ج2.

110- الناجي عبد الجبار: **دراسات في تاريخ المدن العربية والإسلامية**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان، 2001.

ثالثا: الرسائل الجامعية:

111- بيرم كمال: **بلدية المسيلة المختلطة دراسة اقتصادية واجتماعية بين 1884-1945**، مذكرة ماجستير تخصص تاريخ البحر المتوسط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006/2005.

112- رحلي صليحة: **المسيلة وجهاتها في العصر الوسيط دراسة منو غرافية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014/2013.

113- بن زاوي طارق: **استقلال المعز ابن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية(406-454هـ/1016-1062م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009/2008.

114- السادة احمد يوسف: **الفكر السياسي والعسكري للحاجب المنصور محمد ابن أبي عامر(326-392هـ/938-1022م)**، رسالة مقدمة كجزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في الآداب، قسم التاريخ، جامعة بيروت العربية، 2017/2016.

115- مريم بوعامر: **الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري ما بين القرن 7و9هـ/13و15م**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بو بكر بلقايد، تلمسان، 2010/2009.

116- علي احمد عبد الله القحطان: **الدولة العامرية في الأندلس دراسة سياسية وحضارية(368-399هـ/978-1009م)**، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1981.

117- المزروع وفاء بن عبد الله بن سليمان: **الخليفة الأموي الحكم المستنصر(350-366هـ)**، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1983/1982.

118- مديازة صورية: **بلاد الزاب من الفتح العربي إلى غاية انتقال الفاطميين إلى مصر (21-362هـ/642-972م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ إسلامي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010/2009.

119- بن النية رضا: **صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر (80-699هـ/362-973م) دراسة اجتماعية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006/2005.

رابعا: الموسوعات:

120- زيبب نجيب: **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب و الأندلس**، تقديم احمد بن سودة، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، 1995، ج2.

121- شاكر مصطفى: **موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها**، دار العلم للملايين، بيروت، 1993، ج1.

122- مؤنس حسين: **موسوعة تاريخ الأندلس تاريخ وفكر وحضارة وتراث**، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، القاهرة، 1996، ج2.

خامسا: المقالات:

123- بورويبة رشيد: **بلقين ابن زيري**، مجلة الأصالة الجزائرية، ع8، جوان 1972.

124- جرار عبد الرؤوف: **سقوط الدولة الفاطمية في المغرب ونبذ التشيع**، مجلة جامعة القدس لمفتوحة، ع20، حزيران 2010.

125- حمزة السر محمد الحسن وصلاح الدين يوسف بورويقة: **الصراع الأندلسي الفاطمي في بلاد المغرب**، المجلة الليبية العالمية، ع14، فيفري 2017.

126- بوحليقة محمد سعيد: **تاريخ ظهور الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي (145-268هـ/762-881م)**، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، ع1، 2013.

127- حميمد احمد جاسم: **قبيلة زناتة وأثرها في حركة الخوارج في بلاد المغرب العربي**، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية، ع23، تشرين الأول 2015.

128- بن الذياب احمد: **المسيلة وإمارة بني حمدون وأميرها جعفر ابن علي**، مجلة الأصالة الجزائرية، ع7، أفريل 1972.

129- ـــــــ: **ابن هاني الأندلسي**، مجلة الأصالة الجزائرية، ع11، ديسمبر 1972.

130- سعداني محمد: **الدور الحضاري لمدينة المسيلة خلال القرن الرابع هجري/العاشر ميلادي**، مجلة الحوار المتوسطي، ع8، مارس 2015.

131- مسعودي نور الدين: **دور عائلة بني حمدون في تثبيت أركان دولة الفاطميين بالمغرب(280-360هـ/893-970م)**، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج6، ع15، سبتمبر 2018.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكر وعرفان	
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ- هـ
الفصل الأوّل: أسرة بني حمدون ودورها في قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب	08 – 24
المبحث الأوّل: أصلهم ونسبهم	08-11
المبحث الثاني: موقف بني حمدون من الدعوة الفاطمية بالمغرب	11-21
المبحث الثالث: سفارة علي ابن حمدون للفاطميين بالمشرق	21-24
الفصل الثاني: الدور السياسي والعسكري لأسرة بني حمدون عصر الخلافة الفاطمية	26 – 42
المبحث الأول: تصدي بني حمدون لقبائل زناتة الموالية للخلافة الأموية	26-31
المبحث الثاني: ولاية بني حمدون لأقاليم الزاب وبناء مدينة المسيلة	31-42
أ- الدوافع الفاطمية في بناء المدينة	31-37
ب- تطور المدينة في عصر بني حمدون	37-42
المبحث الثالث: دورهم في القضاء على ثورة أبي يزيد مخلد ابن كيداد	42-47
الفصل الثالث: التوجه الجديد للعلاقات بين بني حمدون والفاطميين بعد تنقلهم إلى مصر	49 – 71
المبحث الأوّل: الفاطميون يولون زيري ابن مناد على المنطقة	49-58
المبحث الثاني: الصراع بين زيري ابن مناد وجعفر ابن حمدون	58-63

المبحث الثالث: لجوء بني حمدون لطاعة الأمويين بالأندلس	71-63
الفصل الرابع: بني حمدون تحت لواء الخلافة الأموية بالأندلس ونهايتهم	92- 73
المبحث الأوّل: دورهم في عصر الحكم المستنصر (350- 366هـ/ 961- 976م)	81-73
المبحث الثاني: دورهم في عصر المنصور ابن أبي عامر (366- 392هـ/ 976- 1001م)	88-81
المبحث الثالث: نهاية أسرة بني حمدون	92-88
الخاتمة	95-94
الملاحق	105 -97
قائمة المصادر والمراجع	119-107
فهرس الموضوعات	122-121